الروض الزاهر
في سيرة الملك الظاهر
"ططر"

للعلامة محمود بن أحمد المعروف بالبدر العينى
٧٦٢ — ٨٥٥هـ/ ١٣٦٠ — ١٤٥١م

تحقيق
الدكتور هانس أرنست

١٩٦٢

دار احياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه
ج. ع. م.

الروض الزاهر
في سيرة الملك الظاهر
"ططر"

للعلامة محمود بن أحمد المعروف بالبدر العيني

٧٦٢ — ٨٥٥هـ / ١٣٦٠ — ١٤٥١م

تحقيق

الدكتور هانس أرنست

١٩٦٢

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

ج٠ع٠م٠

تمهيد

قام الشيخ محمد زاهد الكوثرى بنشر هذه المخطوطة لأول مرّة عام ١٩٥٠م (١٣٧٠ هـ) . وقد تمكن من نشرها كما يقول فى مقدمته عن طريق جامعة الدول العربية التى ساعدته فى الحصول على تلك المخطوطة .

وعندما قام الشيخ الكوثرى بنشر نص المخطوطة لم يبن بحثه على الأسس العلمية السليمة ولم يشر إلى أهمية هذا الكتاب ومؤلفه المؤرخ العينى .

عندنا قمت بتحضير رسالتى التى نلت بها الدكتراه من جامعة جوتنجن بجمهورية ألمانيا الغربية والتى كان موضوعها وثائق سلاطين المماليك المحفوظة فى ديرسانت كاترين بشبه جزيرة سيناء ـ ركزت اهتمامى ولم آل جهدا فى الحصول على جميع المراجع الخاصة بحكم المماليك فى مصر ،وذلك لأساعد المهتمين بالبحث فى ذلك العصر من التاريخ الإسلامى على إتمام دراساتهم .

وقد شعرت فى أعماق نفسى بأن الفترة من عام ١٢٥٠ إلى عام ١٥١٧ من تاريخ مصر لم تجد من يعطيها حقها الكافى فى الدراسة من جانب العرب أو المستشرقين على السواء .

وأعتقد أن قلة الاهتمام بتغطية هذه الفترة يرجع إلى أن اهتمام المستشرقين اتجه ناحية تطور انتشار الإسلام منذ بدايته . أما من جانب العرب فأعتقد أن اتجاه الباحثين اتجه نحو البحوث الدينية وأعمال الشعراء .

كذلك يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن فترة حكم المماليك فى مصر جاءت عقب الحروب الصليبية وبعد العهد الذهبى للأمة الإسلامية مما دعا الكتاب العرب المعاصرين إلى التحدث عن الماضى المزدهر بدلا من التحدث عن التايخ المعاصر .

وقد ترتب على ذلك أن المصادر الأولية لذلك العهد ـ بما فى ذلك علم الآثار

وعلم النقود والوثائق الرسمية وحتى تواريخ تبوء الحكام للعرش ــ لم تدرس للآن بالقدر الكافى ولا بد لها من دراسات كثيرة حتى يكشف الباحثون عن ذلك العهد .

ولما أخذت على عاتقى إعادة نشر هذه المخطوطة كان غرضى إضافة بعض المواد بغرض توسيع أفق الدراسات والحصول على معلومات وافية عن فترة من عهد المماليك .

ورغم أن محتويات هذا الكتيب لا تبحث فى الشئون السياسية والحوادث التاريخية التى وقعت أثناء حكم السلطان ططر ، إلا أن الكتيب يتناول وصف ذلك الحاكم وما كان يجب أن يكون عليه من أخلاق كما قال المؤلف المعاصر محمود بن أحمد المعروف بالبدر العينى . ويستطيع القارىء خلال هذا الكتيب أن يقف على جانب من الأحوال الفكرية التى سادت فى تلك الفترة .

وإذ أقدم للقارئ مجهودى المتواضع فى إلقاء مزيد من الضوء على هذه الفترة ، لا أنسى أن اقدم جزيل شكرى للقائمين على شئون معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية الذين أعطونى المخطوطة وكذلك للسيد محمد الحلبي الذى مكننى من نشر هذا الكتيب .

دكتور هانز أرنست

القاهرة فى ١٩ / ٣ / ١٩٦٢

فهرس المحتويات

المقدمة

المؤلف :

١ — ولد المؤلف ، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بدر الدين العينى الحنفى فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم عام سبعمائة واثنين وستينه (٢٢ يوليو عام ١٣٦٠م) فى عينتاب (وإليها نسبته) . وتقع قلعة عينتاب بين مدينتى حلب وأنطاكية ، حيث كان والده يتولى منصب قاضى .

ومنذ نعومة أظفاره مارس الشيخ العينى دراسة الفقه وتمكن من معاونة والده فى مهام منصبه .

وفى عام ٧٨٣ سافر الشيخ العينى إلى مدينة حلب لمواصلة دراساته، وعندما عاد إلى موطنه بعد عام من ذلك التاريخ كان والده قد قضى . وقد أدّى الشيخ العينى فريضة الحج وقام بجولة فى البلدان المجاورة، إلى أن زار مدينة دمشق عام ٧٨٨. وبعد فترة وجيزة من هذا التاريخ تعرّف الشيخ العينى فى مدينة القدس على شيخ صوفى يدعى الشيخ علاء الدين أحمد الصيرفى الذى مكنه من الحضور إلى القاهرة ونيل منصب أستاذ فى المدرسة البرقوقية التى كانت قد افتتحت حديثا فى ذلك الوقت .

وبينما كان الشيخ العينى يلقى المحاضرات على تلاميذ تلك المدرسة ، كان أيضا يستكمل دراساته فى الفقه والتاريخ وشئون الدين ، وقد زار الشيخ العينى مدينة دمشق عام ٨٩٤ لفترة وجيزة ترك بعدها عمله فى المدرسة البرقوقية . وقد كان الشيخ العينى على علاقة طيبة مع كثير من الأمراء فى العاصمة لدرجة أنه قدّم ذات مرّة للسلطان برقوق .

وفى شهر ذى الحجة عام ٨٠١ ، حصل الشيخ العينى بمساعدة بعض الأمراء على

منصب محتسب بدلا من الشيخ المقريزى الذى كان قد فصل من هذا المنصب ، الأمر الذى أنشأ خلافات بين الشيخين ، غير أن الشيخ العينى أيضا اضطر كثيرا إلى إدخال تغييرات على مناصبه بسبب الدسائس الكثيرة التى كانت سائدة فى ذلك العهد .

وقد أسيء إلى الشيخ العينى فى عهد السلطان الملك المؤيد « شيخ » حتى أنه عذِّب فى هذا العهد ، غير أنه تمكن من القضاء على الدسائس التى أدت إلى الإساءة إليه وعينه السلطان أستاذا بالمدرسة المؤيدية .

وذاعت شهرة الشيخ العينى وبدأت علاقاته الطيبة مع ططر الذى أصبح فيما بعد سلطانا ، كما كان على صلة طيبة من السلطان بارسباى الذى أحبه بالنسبة لتبادلهما باللغة التركية فى الشئون الدينية والعلمية .

وقد أدت علاقاته الطيبة مع السلطان بارسباى (٨٢٥ـ٨٤٢/١٤٢٢ـ١٤٣٨) إلى تعيين الشيخ العينى فى ربيع الأول عام ٨٢٩ (يناير ١٤٢٦) قاضى القضاة الحنفية فى الديار المصرية .

غير أن الشيخ الحنفى فقد هذا المنصب العظيم فى عهد السلطان الملك العزيز يوسف الذى خلف السلطان بارسباى فى الحكم ، وبذلك عاد الشيخ العينى إلى عمله كأستاذ فى المدرسة المؤيدية .

وعين الشيخ العينى للمرة الثانية كقاضى قضاة الديار المصرية فى شهر شوال عام ٨٤٦ (فبراير سنة ١٤٤٣) فى عهد السلطان جقمق وعلاوة على هذا المنصب كان الشيخ العينى فى نفس الوقت يشغل منصب المحتسب وناظر الأوقاف .

أضاع الشيخ العينى منصبه كناظر للأوقاف فى اليوم السادس عشر من شهر رجب عام ٨٥٣ (٥ سبتمبر سنة ١٤٤٩) وبعد ذلك اعتزل الحياة الرسمية إلى أن جاءته المنية فى ٤ ذى الحجة ٨٥٥ (٢٩ ديسمبر سنة ١٤٥١) بعد أن عاش أكثر من تسعين عاما .

آثاره :

ب — بالإضافة إلى كثير من المؤلفات التى تبحث فى الشئون الدينية (راجع فوستنفلد ، بروكلمان ، الزركلى) قام الشيخ العينى بتأليف عدة كتب تاريخية هامة وهى :

١ ـ عقد الجمان فى تاريخ أهـل الزمان . . يبحث هذا الـكتاب فى الحوادث التى وقعت منذ أول التاريخ إلى عام ٨٥٠ (١٤٤٦) .

٢ ـ تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر .. مختصر للـكتاب المشار إليه بعاليه .

٣ ـ الجوهرة السنية فى تاريخ الدولة المؤيدية . . وهو شعر منظوم عن حياة السلطان الملك المؤيد شيخ .

٤ ـ السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد . . ويبحث هـذا الـكتاب فى حياة الملك المؤيد إلى عام ٨١٩ (١٤١٦) .

السلطان ططر :

تبوأ السلطان سيف الدين أبو الفتح ططر الحـكم فى قلعة مدينة دمشق فى يوم ٢٩ من شهر شعبان عام ٨٢٤ خلفا للملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ (انظر الصفحة ٣٩) . وتلقب السلطان ططر بالملك الظاهر . وجاء ترتيب الملك الظاهر الثالث عشر من سلاطين المماليك بمصر كما أنه كان سادس المماليك الشراكسة .

ويقول ابن تغرى بردى إن الملك الظاهر استحضر إلى مصر ـ كأحد المماليك قبل عام ٨٠١ ـ عندما اشتراه السلطان برقوق بناء على توصية أحـد الأمراء بمبلغ ١٢٫٠٠٠ درهما .

وبعد أن تبوأ السلطان الظاهر الحـكم فى قلعة دمشق قضى بعض الوقت هناك

لإعادة تعيين بعض الرسميين والأعيان فى المناصب الرئيسية للدولة ومن ثم أعلن على البلاد أنه أصبح السلطان الشرعى .

ووصلت هذه الأخبار إلى القاهرة فى يوم الأحد الموافق ٩ من شهر رمضان المعظم من نفس العام .

وترك السلطان الظاهر الشام فى يوم الاثنين الموافق ١٧ رمضان متجها إلى القاهرة حيث وصلها فى أوائل شهر شوّال . ولم يمض وقت طويل حتى كان خبر مرضه قد انتشر فى البلاد، وفى يوم ٢ ذى الحجة دعا السلطان الظاهر كبار الرسميين وأعيان البلاد إلى اجتماع أعلن فيه التنازل عن الملك لابنه .

ومات السلطان الظاهر فى يوم الأحدا الموافق ٤ ذى الحجة عام ٨٢٤ فى مدينة القاهرة وكان قد بلغ الخمسين من عمره . ودفن جثمانه بجوار جثمان الإمام ليث ابن سعد .

وقد امتدح ابن تغر بردى الفتره الوجيزة من حكم السلطان ططر الذى وصفه بالكرم والطيبة ، لاسيما وأنه كان من الحكام القليلين الذين اهتموا بالشئون العلمية والاختلاط بعامة الشعب .

المخطوطة :

المخطوطة التى اعتمدت عليها فى هذا الكتيب هى صورة فوتوغرافية عن الأصل المحفوظ فى مكتبة خسرو باشا فى استمبول والتى استعرتها من معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة .

تتكون هذه المخطوطة من اثنتين وخمسين ورقة تحتوى كل منها على أحد عشر سطرا ، وأحيانا كانت الكلمات مشكّلة كما أن الخط الذى كتبت به المخطوطة كان نفس الخط السائد فى تلك الأزمان .

ويخيل إلى أن المخطوطة الأصلية أصابها العطب من جراء حفظها فى أماكن غير مناسبة طيلة هذا الوقت .

ويظهر فى الصفحة الأولى من المخطوطة بعض الملحوظات الدالة على أصحابها . وقد عمد المؤلف إلى ذكر اسمه فى الصفحة الأولى من المخطوطة .

وقد بينت فى كتيبى على هامش الصفحات أرقام الصفحات الأصلية كما جاءت فى مخطوطة الشيخ العينى .

وأخيراً فقد أضفت بعض الفهارس ليستطيع القارئ أن يقف على محتويات المخطوطة بدون عناء .

المراجع

١ — ابن اياس « بدائع الزهور » ٢ : ١٣

٢ — ابن تغرى بردى « مورد اللطافة » ١١٥ ، ١١٦

٣ — ابن تغرى بردى « تاريخ مصر » ـ الترجمة الانجليزية لپوپر ـ القسم الثالث (١٤١٢ ـ ١٤٢٢) جامعة كالفورنيا ١٩٥٧ الصفحة ١٤٤ ـ ١٥٣ (انظر أيضا المقدمة)

٤ — ابن تغرى بردى « المنهل الصافى » الفهرس لوييت

٥ — أبو الفداء « تاريخ »

٦ — ارنست « وثائق السلاطين المماليك المحفوظة بديرسانت كاترين بشبه جزيرة سينا » (بالالمانى) ١٩٦٠

٧ — بابنجر « مؤرخو العثمانيين وأعمالهم » (بالالمانى ١٩٢٧) الصفحات ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨

٨ — بارتولد « محاضرات عن آسيا الوسطى »

٩ — بروكلمان « تاريخ الأدب العربى » ٢ : ٦٤ وملحق ٢ : ٥٠

١٠ — دائرة المعارف الإسلامية (الطبع الألمانى ١٩٣٤) ٤ : ٧٥٩ (تتار)

١١ — دائرة المعارف الإسلامية (الطبع التركى ١٩٥٧) ٧ : ٦٨٩ (مملوكار)

١٢ — ده سلان « تاريخ الحروب الصليبية » ٤٤ / ٤٥

١٣ — الزركلى : « الأعلام » ٣ : ٣٢٧ (ططر)

١٤ — الزركلى : « الأعلام » ٨ : ٣٨ (بدر الدين العينى)

١٥ — السخاوى « التبر المسبوك » ٣٧٥

١٦ — السخاوى : « الضوء اللامع » ١٠ : ١٣١ ـ ١٣٥ ـ ٤ : ٨

١٧ — السيوطى : « حسن المحاضرة » ١ : ٢٧٠

١٨ — السيوطى : « بغية » ٣٨٦

١٩ — عبد الحميد بك غالب : « ترجمة تاريخ القوقاس »

٢٠ — على مبارك : « الخطط الجديدة » ٦ : ١٠

٢١ — ابن العماد : « شذرات الذهب » ٧ : ٢٨٦ ـ ٢٨٨

٢٢ — الكاشغرى : « ديوان لغات الترك » ١ : ٢٧

٢٣ — المقريزى : « تاريخ السلاطين المماليك » المترجم الفرنسى كاترمار ١ : ٢ ، ٢١٩

٢٤ — المقريزى : « الخطط » (طبع بولاق) ١ : ٢٤٣

٢٥ - ووستنفلد : « مؤرخو العرب وأعمالهم » ٤٨٩

استدراكات وملحوظات

ص ١١ : ٢ تدل فى الأصل يدل .

« ٢٤ : ٢ انظر ص ٢ : ١٥ ـ هكذا فى الأصل .

« ٣٨ : ٢ انظر ص ٢ : ١٦ ـ «

« ٢٨ : ١٥ يجب حذف القوسين .

« ٢٩ : ١١ يجب حذف الألف ـ الحجاج بن يوسف

« ٢٩ : ٢٠ الوزراء بدلاً من الوزراة

« ٣٢ : ١١ زنادقة .

وثيقة

صدرت عن السلطان ططر

لصالح الرهبان الفرانسيسكان بالقدس

---

١ المالك محمد

٢ بن

٣ ططر

٤ السلطانى الملكى الصالحى الناصرى

٥ أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه أن

٦ يحملوا رهبان دير صهيون عليه القدس الشريف على عادتهم

٧ وأن لا يطالبوا بما يؤخذ من المسلمين فى البحر وربما يجده الفرنج

٨ فى البحر وأن لا يلزموا بما لا يلزمهم شرعا وحمل الأمر

٩ فى ذلك على الوجه الشرعى والوصية بهم ومنع من يتعرض

١٠ إليهم بغير حق فليعتمد هذا المرسوم الشريف

١١ كل وقف عليه وناظر إليه وليعمل بحسبه

١٢ ومقتضاه والخط الشريف شرفه الله تعالى أعلاه

١٣ إن شاء الله تعالى

١٤ كتب فى ثانى عشر الحجة الحرام

١٥ سنة أربع وعشرين وثمانماية

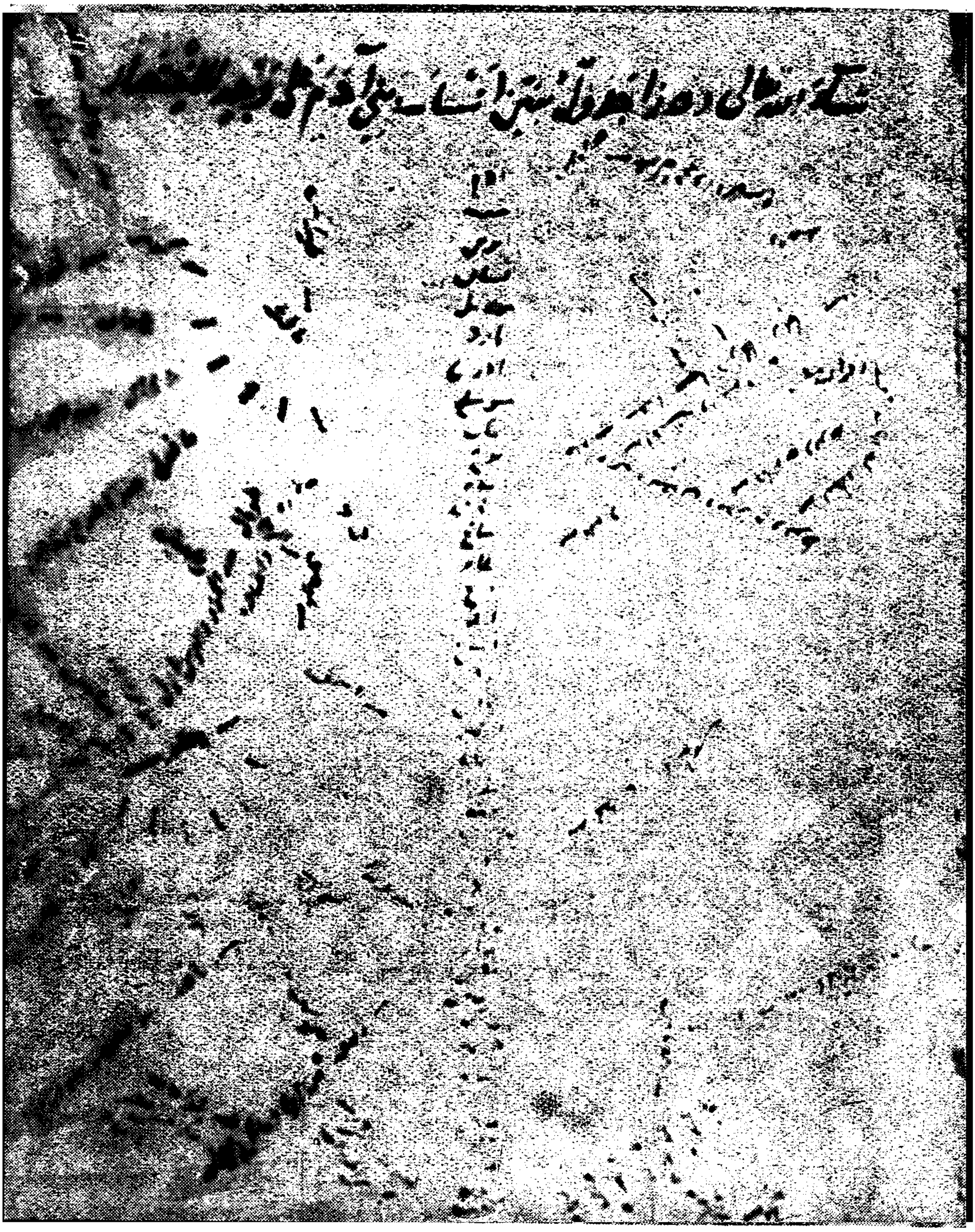
١٦ حسب المرسوم الشريف

١٧ الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه

١٨ حسبنا الله ونعم الوكيل

نشرت هـذه الوثيقة مرة فى كتاب خاص للرهبان الفرانسيسكان فى القدس عام ١٩٣١ — نوربيرتو ريشانى « وثائق وفرمانات » ص ١١٦ — ١١٩

ق٩ب



يوجد هذا الجدول فى آخر الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أيد الاسلام بعدله الظاهر ، وأيد عبيده المسلمين بعبده الظاهر . وأظهره على كل مارق وفاجر . ومكنه من كل مارد وغادر ، وجمع شمل المؤمنين برأيه الباهر . من غير طعن بزج وضرب بباتر . وأنار شعائر الدين بعدله الزاهر . وشرائع الإسلام بعدله السائر . حتى أضاء نجم الاتفاق فى فلكه الدائر . وانخمد سور الشقاق فى برجه الهائر . وعادت أهل الطاعة بعطاء متواتر . وخابت أهل البغى من هذا ق١ب الحظ الوافر . واستبشر من كان ماريا عن نفاق ثائر . وانكمد من فى قلبه = شىء من حسد نائر . فسبحان من منّ على عباده من فضله المتكاثر . بهذا الملك الذى عينه رحمة للبادى والحاضر . وزينه بحلم وعلم وعدل وفضل غازر . والصلاة على نبيه الزكى الطاهر . محمد المصطفى أشرف كل وارد وصادر . وعلى آله وصحبه المستأثرين بكل فخر فاخر . مابدر إلى الطاعات بادر .

أما بعد فإن عافى رحمة ربه الغنى . أبا محمد محمود بن أحمد العينى عامله ربه بلطفه الجلى والخفى ، يقول : إن من جملة منن الله تعالى علىّ أنى كنت رزقت التمثل بين يدى هذا الملك من قديم الزمان . والتحلى بصحبته المنيفة قبل هذا الأوان . فرجانى من ق٢ا الله تعالى أن يكون = ذلك سببا لنصب ما خفض من حالى . ورفع ماجزم بالى من كسر بالى . وجر مايصلح شأنى بلطفه . وإبدال الهموم بالسرور بعطفه . إنه على ذلك قدير . وبالإجابة جدير .

ولما جرت العادة باتحاف الملك إلى من كان يصحبه وهو مختف فى الحجاب . وتقديمه إياه على من كان نائيا عن الباب . سيما إذا ظهر استحقاقه لذلك . وقامت بيّنته على ذلك . أردت تذكير ذلك بتقديم تحفة لحضرته السنية وخدمته البهية . محتوية على بعض سيرته الشريفة . وأحوال دولته المنيفة . ولكنى أبديت ذلك بوجه عاجل . يعقبه أبسط من ذلك فى الآجل . على قدر مساعدة الوقت والإمكان . لأن

ذلك يقتضى أمدا بعيدا من الزمان . ولــكنه تلويح يغنى عن التصريح . وتلميح يستغنى به عن التوضيح . وفى هذا الوقت رأيت هذا المقدار عزماً عليا . وحتما واجباً مقضــيا . وكيف وهو ملك إن شاء الله يفتخر به ملوك الآفاق . ويعلو عليهم علو الشمس على النيرات فى الإشراق . وينقاد إليه كل مطيع وعاصى . وكل دان وقاصى . ويرتفع برايات عدله منار الدين . وينتشر بأعلام فضله آيات الحق المبين . ويتنور بأحــكامه الزاهرة أغصان الحق والإنصاف . وينخمد بجلالة هيبته نار الظلم والاعتساف . ويتفرق بعظمة سطوته = جمــوع أهل الفساد من كل الأصناف . ق ٣ ا لازال مدى الدهر مستمرا إقباله . ولم يزل يتزايد طول الأيام كماله . ورفع الله قدره فى الأفلاك . وعظم مجده بين الأملاك .

وترجمتها بالروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر . وجعلتها على عشرة فصول . الأول فى جنسه وأصله . والثانى فى اسمه وما يدل عليه حروفه . الثالث فى كنيته وما يدل عليه ومن تــكنى به من الملوك . الرابع فى لقبه ومن تلقب به من الملوك . الخامس فى كونه عاشر السلاطين الترك الأفاقين وما فيه من البشارة له . السادس فى استحقاقه السلطنة وتعينه لها . السابع فى أوصافه الجميلة = وأخلاقه الحميدة . الثامن ق٣ب فى ما ينبغى له أن يفعل ومالا يفعل . التاسع فيمن يوليه على خواص نفسه وعلى الرعية . العاشر فى تاريخ سلطنته ومادل عليه تاريخه . فها أنا أشرع فى بيانه . وعلى الله أتــكل فى شانه .

الفصلُ الأوّل

في جنسه وأصله :

اعلم أن الله تعالى خلق ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا عالم منها ، والعمران فى الخراب كفسطاط فى البحر ، وميز من بينهم أربع طوائف وهم الملائكة والإنس والجن والشياطين ثم جعل هذه الثلاثة عشرة أجزاء ، تسعة الشياطين ، وواحد الإنس ق٤ ا والجن ، ثم جعل هذين الصنفين عشرة = أجزاء ، تسعة الجن وواحد الإنس ، فالملائكة من النور ، والجن والشياطين من النار ، والإنس من التراب .

والإنس كلهم أولاد آدم عليه السلام ولكن انقرضوا كلهم بطوفان نوح عليه السلام ولم ينج منه إلا أصحاب السفينة ، وهم ثمانون نفسا على قول الجمهور . ثم لما استقرت بهم على الجودى خرجوا منها وبنوا قرية سموها قرية الثمانين فى أرض الجزيرة .

وعاش نوح عليه السلام بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة ، وجميع عمره ألف وسبع مائة سنة وثمانون سنة . ثم هلكوا ولم يبق منهم إلا نوح وأولاده الثلاثة وهم سام وحام ق٤ب ويافث وأزواجهم ولما حضرت نوحا الوفاة أوصى = ابنه سام وجعله ولى عهده وقسم الأرض بين أولاده الثلاثة . فجعل لسام وسط الأرض وفيها الحجاز واليمن وبيت المقدس ومصر والشام ، وفيها النيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وجعل لحام بلاد المغرب . وجعل ليافث الجنوب وبلاد المشرق . وجميع الأمم متفرعة من هؤلاء الثلاثة ويافث أكبرهم وحام أصغرهم وسام أوسطهم .

فولد لسام خمسة من الأولاد وهم أرفخشذ ولاوذ وأرم وآشور وعيلام ، وولد لارفخشذ شالخ ولشالخ عابر ومن عابر العبرانيون . وولد له ولدان فالغ ويقطن ، فمن فالغ ق٥ ا إبراهيم = الخليل عليه السلام ، ومنه اسحق وإسماعيل عليهما السلام ، ومن اسحق يعقوب وعيصو ، فمن يعقوب بنو إسرائيل ، ومن عيصو الروم ، ومن

إسماعيل العرب المستعربة ، ومن ذريته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وولد ليقطن ثلاثة عشر ولدا ومنهم جرهم والهند والسند وسبأ وهم أهل اليمن . وولد للاوذ أربعة أولاد وهم طسم وعمليق وفارس وجرجان ، ومن العمليق الـكنعانيون جبابرة الشام وفراعنة مصر ، وولد لأرم عوض ، ومن ولده عاد ، ومن ولد أرم كاثر ومن ولده ثمود وجديس وأميم وهم العرب العاربة ، وولد لآشور إيران ونبيط وجرموق وباسل = فمن إيران الفرس والـكرد والخوز ، ومن نبيط النبط والسريان ، ومن ق ٥ب
جرموق الجرامقة ، ومن باسل الديلم والجيل .

وأما حام فولد له مصرايم وكنعان وكوش وقوط ، فولد لمصرايم فلشتين ومن بنيه جالوت وأهل فلسطين ، وولد لـكنعان أولاد شتى منهم البربر وأهل أفريقية وولد لـكوش الحبشة والنوبة وسائر أنواع السودان .

وأما يافث فولد له سبعة أولاد وهم كومر وياوان وماذاى وماغوغ وظوبال وماشخ وظيراشي . ومن كومر الترك وهم فى الأصل عشرون قبيلة وكل قبيلة منها بطون لا يحصون وهى بجنك وقفجاق ، وأغز ، ويماك وبشغرت ، ويسمل ، = ق ١٦
وقاى ، ويباقو ، وططر ، وقرقز ، وجكل ، وتخسى ، ويغما ، واغراق ، وجرق ، وجمل ، وايغر ، وتنكت . وخطاى ، وتوغاج . وتسمى ماصين .

ومن قبيلة أغز تتفرع التركمان وهم اثنان وعشرون بطنا ، وأعظمهم قنق ومنهم السلاطين والملوك ، ومنهم بنو سلجوق بن دقاق ومن ذريتهم الملوك الذين ملـكوا بلاد الروم وكان عبور السلجوقية بلاد الإسلام فى شهر ربيع الأول من سنة خمس وستين وأربع مائة .

وأما التركمان الذين يسكنون ببلاد الروم والشام فأصلهم من التركمان الذين جاءوا مع السلطان آلب أرسلان السلجوقى فسكنوا البلاد رحالة ببيوت خركاوات ؛ فطائفة سكنت = ببلاد ديار بـكر ومنهم تركمان قرا محمد وولده قرايوسف وبنو يحمر وبنو ق ٦ب
يغمر ومنهم طائفة سكنت ببلاد الروم على سواحل البحر الملح فمنهم تركمان ورسخ

وأولاد حميدو وسليمان باشاه ومنهم أولاد قرمان وأصلهم من تركمان سكنوا أرمناك من بلاد لارنده ولكن موضع جدهم الأعلى نورد صوفى من موضع يقال له قامش

ومن تركمان الروم أصل عثمان جق وولده أرخان وولده مراد باك وولده أبو يزيد وولده كرشجى يدعى سلطان محمد وأصلهم من موضع يقال له سكت من بلاد أجات

ق ١٧ ومنهم طائفة سكنت ببلاد الشام والأرمن وهم طائفتان إحديهما يسمى أوج أق = والأخرى تسمى بزأق : ومنهم أولاد دلغادر . ومن جنس الترك الجراكسة وأصلهم أربع قبائل وهم جركس ويقال شركس ، وأذكش والآص وكسا وتتفرع منهم بطون كثيرة منهـــم أباذا وكبكا وجنا وبوله وبزدغو وأسفو وبصجقا وأغجبسى وسكاغو وجقا وبشزيا وابخاس وأزغا وبغزو وبخ ووقاقا وبميقا وبدس وقوصى واريس وصمدى وصمدقا ويس وتصنغا وخونيه وادخان وكرموك .

وأصل مولانا السلطان ثبت الله قواعد دولته من الجراكسة المستأجرين من دولة هرقل . فإذا كان كذلك فلا شك يكون أصله منتزعا إلى العرب وهو عرب غسان .

ق ٧ب وبيان ذلك أنه = قد زعم بعض الناس أن أصل الجركس من العرب وليس كذلك . وإنما أصل هذا الكلام أن جبلة بن الأيهم لما ارتد عن الإسلام بعد أن قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسلم صار إلى هرقل صاحب الروم ولما هرب هرقل من أنطاكية حين فتحها الصحابة رضى الله عنهم فى سنة سبع عشرة من الهجرة وركب البحر وعدى إلى بلاد قسطنطينية هرب معه جبلة ومعه خمس مائة رجل من قومه من عرب غسان فتنصروا كلهم وأقاموا عندهم إلى أن انقرض ملك القياصرة

ق ١٨ ثم تحيزوا إلى جبال الجراكسة وبلادهم وهى ما بين بحر طبرستان وبحر = نيطش الذى يمده خليج قسطنطينية فاختلطوا بالجراكسة فتزوجوا منهم نساء وتزوجت الجراكسة منهم نساء فتوالدوا وتناسلوا وكثرت ذراريهم واختلط بعضهم ببعض ودخلت أنساب بعضهم فى بعض حتى ليزعم كثير من الجراكسة أن أصلهم من نسب عرب غسان .

ومن ذلك يوجد فى الجراكسة غالبا خصال من خصال العرب منها الشجاعة
الظاهرة والفروسية الباهرة ، ومنها الصدمة الأولى فى الحروب . ومنها الغيرة العظيمة
على الحريم والنساء . ومنها حسن القيام بحق الضيف والضيف عندهم أعز الناس
إليهم ومنها أن المستجير بأحـــدهم = لا يضام ولا يناله مكروه ولو كان عليه دم ق٨ب
أو طلب ولا يقدر أحد أن يأخذه ولو كان صاحب شوكة . ومنها أن عندهم حدة
وزعارة فى أخلاقهم . ومنها أنهم يغضبون سريعا ومنها أن العداوة إذا وقعت بين
الطائفتين لم يزالوا على ذلك فمن قدر منهما على الأخرى يفنى جميعهم فتستمر العداوة
بين أولادهم وأولاد أولادهم وكل ذلك من خصال العرب .

ومولانا السلطان خلد الله ملكه سادس السلاطين الجراكسة الذين ملكوا
الديار المصرية والشامية والحجازية ؛ فأولهم السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى
فى قول وفى قول هو من آص . والثانى السلطان الملك المظفر بيبرس = الجاشنكير . ق٩أ
والثالث السلطان الملك المنصور لاجين . والرابع السلطان الملك الظاهر برقوق .
والخامس السلطان الملك المؤيد . والسادس مولانا السلطان الملك الظاهر أبو الفتح
ططر خلد الله ملكه .

واعلم أنه يطلق على جراكسة هذا الزمان أنهم من العرب لأن اختلاط أنسابهم
مع أنساب العرب من مدة تزيد عن ثمان مائة سنة ، وأما من كانوا فيما قبل هذه المدة
فإنهم من الترك المحض بلا خلاف .

ولا شك أنه يطلق على مولانا السلطان الملك الظاهر خلد الله ملكه أنه من
العرب بهذا الاعتبار فيكون استحقاقه لهذا المنصب الشريف من هذا الوجه أيضا
على ما نبينه إن = شاء الله تعالى . ق٩ب

ق١٠ا

الفصْل الثاني

في اسمه وما يدل عليه حروفه

اعلم أن اسم مولانا السلطان خلد الله ملكه ثلاثة أحرف ؛ وهي طا آن وراء مهملات وفيه لغتان أخراوان إحداهما تتربتائين موضع الطائين ، والأخرى تتار بزيادة ألف . فلنتكلم في هذه الوجوه الثلاثة بما يقتضيه القواعد الحرفية وغيرها . أما الطاء والألف فهما من الحروف النارية ، وأما التاء فهو من الحروف الهوائية ، وأما الراء فهو من الحروف الترابية .

والسر في ذلك أن الطاء والألف يدلان على أن كل من عاداه أو عصى عليه أو خرج من طاعته أو أضمر له سوءا أو نوى له مكراً وخديعة فإن نارهما تحرقه لقوتهما

ق١٠ب مع سعد الملك حتى يتلاشى = أمره ويتفرق شمله ولا يبقى له ولمن يلوذ به أثر ولا خبر كالنار الحسية إذا وقعت في أرض تأكل ما فيها كله . وأما التاء فإنه يدل على أن من نصح له وأخلص في طاعته ظاهراً وباطنا ينصب عليه نفحات نسيمه الوسيم وتربيه نسمات بره العظيم كالهواء الحسي فإنه حياة كل ذي روح وبقاء كل حيوان .

وأما الراء فإنه يدل على عمارته بلاد رعيته وعلى شمول عدله كالتراب الحسي فإنه

ق١١ا يخرج منه أرزاق جميع الحيوانات ويستتر به من كان من الأموات .

وأما السر في تكرر الحرفين في اسمه فإنه يدل على امتداد قوته في سعده وعدم التخلل في اثنائه من شيء منكد أو مغير وقد قلنا : إن الطاء حرف = ناري وله قوة زائدة على بقية العناصر ولا سيما النار إذا تزايدت من جنسها وتكررت ازدادت قوة وزيادة سعادة صاحبه تقارن هذين الحرفين من غير تخلل حرف آخر بينهما ، ألا يرى أن الملك الناصر الكبير لما تكرر الحرف في اسمه مع فاصل بين الحرفين حصل التغير لذلك . وكذلك الملك الظاهر برقوق .

فالشكر لله تعالى أن الحرف المكرر الذى فى اسم مولانا السلطان خلد الله ملكه وقع فيه التقارن . ولحرف الراء أيضا أسرار عجيبة ، وقد قال علماء الحرف إن الراء للقوة المظهرة للحركة التى بها تمام الفعل وهو جوهر الزمان وعنه تم الفعل ، ودليل ذلك ما نص الله تعالى فى قوله الراء كتاب أحكمت آياته ثم فصلت والراء للتفصيل وبالحركة انفصل = كل شىء ولولا هو لكانت الأشياء كلها شيئا واحداً ونقطة ق١١ب واحدة ، وبه فصلت الأشياء وظهرت أمثلة فى العالم وكانت مدة ذلك هى المدة التى خلق الله فيها وهى الستة الأيام التى ذكرها فى كتابه لذلك تكررت الراء فى ستة مواضع لتكون دليلا على تلك الأيام الستة وهى مدة ظهور ما فى اللوح من أمثله الخلق ، ولذلك كنى تبارك وتعالى عن الستة الأيام فى أوائل السور التى فيها الراء فقال فى سورة هود بعد آيات يسيرة وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء فلفظة هو كناية عن ذاته تعالى ، والعرش كناية عن اللام وهو اللوح ، والراء كناية عن الأيام لأن الراء التى فى يونس كناية عن اليوم الأول والتى فى هود = كناية عن اليوم الثانى والراء الثالثة فى يوسف والرابعة فى ق١٢أ الرعد والخامسة فى إبراهيم والسادسة فى الحجر ، فهذه ستة أحرف على ستة أيام فلذلك انقطعت الحركة والمدة فى هذا العالم على ستة أيام واليوم السابع يوم السكون والتمام . ولهذه العلة سبتت فيه اليهود ، وعمر الدنيا أيضاً سبعة أيام ، ثبت ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وكذلك وقعت الطاء مكررة فى أوائل بعض السور وهى طه وطسم تلك آيات الكتاب المبين وطس تلك آيات القرآن وكتاب مبين وطسم تلك آيات الكتاب المبين وفيه أسرار عجيبة ليس هذا موضعها ، والطاء فى الحساب تسعة فى الصغير والكبير . والراء فى الصغير ثمانية وفى الكبير مائتان فالباقى بعد الأسقاط خمسة = فإذا أضيف إليها ما تبقى من اسم أمه حواء يكون ثمانية ، فتكون نجمه ق١٢ب ثامن البروج وهو العقرب ، وطالعه المريخ وهو برج ثابت ليلى مائى. وعلاماته تدل على أن له الوجه الثانى وهو للشمس تدل على ملك عظيم وجاه قوى مع ثبات وطول مدة .

وله من الحدود خمسة :

الأول بيت حياته يخاف عليه فى ثمـان سنين فإن جاوزها فى ستة وعشرين فإن جاوزها فى ما بعد التسعين .

الثانى بيت له يكون فى أول عمره قليل المال ثم ينقلب عليه الزمان إلى أن يصير له أموال يعجز عن ضبطها ، ويرزق ذلك من غير تعب ولا سعى ولا هو من قبل والديه .

الثالث بيت الأخوة والأصدقاء قليل الحظ منهم ويفارقهم ويفارق البيت الذى ولد فيه ويدفن أباه قبل أمه .

ق١٣ا والرابع = بيت الأولاد والنساء يرى من الأولاد كما يحب ، ولا يموت حتى يرى ولد ولده ويتزوج كثيراً وربما يرث من بعضهم شيئاً كثيراً .

الخامس بيت أحواله فى ذاته يكون ديناً محترزاً عن الحرام ، يكون له يد من العلوم ومن الكتابة ويكون متواضعا حليما شفوقا حلو الكلام حسن المنطق عالما بالالسن سريع الرضى سريع الغضب حسن الرجوع إذا هم فى شىء فعله وربما يعمل برأى نفسه . ومشاورته أهل العلم والمعرفة والتجربة خير له ، ويميل إلى بعض الطرب والشعر وما يشبه ذلك ومع هذا ميله إلى العلوم وإلى ما فيه رضى الله تعالى
ق١٣ب أكثر . ويكون مظفراً بأعاديه ولا يؤثر فيه السحر . وهو محسود فى ذاته ، وأكثر حساده من جنسه . وفى رأسه أو جبهته أثر = جراحة ، وكذا فى فخذه أو ساقه وعلى صدره خال فإذا أصابه غم أو هم فليضع يده عليه ويدعو ربه فإن الله تعالى يفرج عنه . وأكثر أو جاعه من حقويه وانثييه ورأسه .

قال ارسطاليس يوافق هذا قرص البنفسج وجوارش القسط والأطرفيل وشراب العسل ، والحجامة خير له من الفصد . وإذا أراد مباشرة النساء فليقلل الطعام والشراب البارد . ويوافقه من الاصباغ الكحلى ، ومن الفصوص الياقوت بألوانه ، ومن الدواب الأشهب والأشقر ، ومن النساء والأصحاب من كان نجمه العقرب والحوت والسرطان ، وليحذر ممن كان نجمه الميزان والدلو والجوزاء .

ويوافقه من الشهور العربية شعبان ، ومن شهور الفرس أيار ومن شهور = ق١٤ ا الروم تشرين الثانى ومن الأيام الثلاثاء يبارك له فيه كل ما يريد ، وليحذر من يوم الأربعاء . فهذا الذى ذكرنا هو الأصل .

وأما عند بعض أهل الحساب فلا يحسب للملوك والسلاطين من الطوالع إلا برج الأسدوطالعه الشمش وهو برج عظيم وهو نجم داود عليه السلام ونجم على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو برج ثابت لاهبوط فيه برج ذكر نهارى شرقى صبوح وصاحبه فى خير وسعة .

ومن نكات هذا الاسم أن حروفه من الحروف المنفتحة ، وبهذا السر صادف اسمه كنيته وهو أبو الفتح . ومنها أن الطاء موجود فى اسم من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاسم المذكور فى الإنجيل وهو خير طاء وفى اسم لوط النبى عليه السلام . وفى اسم طالوت وهو نبى على = رأى البعض ولا شك فى كونه ملكا ق١٤ب عظيما بنص القرآن وتفسير خير طاء بالعربية المختار وقيل السيد .

وأما الراء ففى اسم خضر عليه السلام ، فإن قلت قد يوجد مثل ذلك فى سائر أسماء الناس فما فائدة هذا ؟ قلت : الكلام فى اسم صاحب منزلة كبيرة مثل خليفة أو سلطان أو ملك كبير فإن اتفاق الحروف حينئذ له تأثير عظيم وليس ذلك فى أسماء آحاد الناس على ما تقرر فى موضعه .

ومن أسرار هذا الاسم أن صاحبه إذا أراد أن يدعو الله تعالى عند طلب حاجة من جلب منفعة أو دفع مضرة ينبغى أن يكثر فى دعائه يارحمن يارحيم يارؤوف .

الفصل الثالث

ق١٥ا في كنيته وما تدل عليه ومن = تكنى به من الملوك

أعلم أن كنية مولانا السلطان خلد الله ملكه أبو الفتح . وهى كل اسم يصدر بأب أو أم . ويستعملها العرب للتعظيم والتوقير ، وربما يصير كالعلم بالغلبة ، والملوك يختارونها تفاؤلا بمعناها ولا شك أن وضع الكنى أيضا إلهام من الله تعالى كالأسماء الأعلام والألقاب يظهر سرها فى صاحبها ، وفيه بشارة لمولانا السلطان ثبت الله قواعد دولته أن الفتح والنصر لا يفارقانه فإن شاء الله تعالى يفتح له البلاد التى ليست فى ملكه ويطيع له العباد الذين ليسوا تحت أمره ولا يزال سعيدا فى حركاته وسكناته ، منصورا فى جميع ما يتفق له من أموره .

ق١٥ب والفتح مقرون بالنصر قال الله تعالى إذا جاء = نصر الله والفتح وقد وجدنا الملوك الذين تكنوا بأبى الفتح فتحت لهم فتوحات .

منهم الملك الظاهر بيبرس فإن كنيته أبو الفتح ، حصلت فى أيامه الفتوحات الكثيرة ، منها قيسارية الشام وارسوف ويافا والشقيف وأنطاكية وبغراس وطبرية والقصير وحصن الأكراد وحصن عكار وحصن عكا وصفد وغير ذلك ، قال المؤرخون أول فتوحاته قيسارية الشام بالسواحل وآخر فتوحاته قيسارية الروم . وأما عدة فتوحاته فكانت تزيد على أربعين حصنا ومن جملة فتوحاته أنه أسر المغول على ابلستين وقتل توقو وتداوله ، وفتح بلاد النوبة بكمالها ، وله فى الإسلام آثار عجيبة .

ق١٦ا ومولانا السلطان = خلد الله ملكه تلقب بلقبه وتكنى بكنيته ، فنرجو من الله عز وجل أن يفتح له مافتح له إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير . وممن تكنى بهذه الكنية المؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب صاحب مصر والشام وبلاد الشرق والحجاز واليمن وكان ملكا مسعودا فى حركاته مثل اسمه .

وممن تـكنى به السلطان برهان الدين القاضى صاحب سيواس وغيرها . ومنهم أبو الفتح وقيل أبو الفتوح بلـكين بن زيرى بن مناد صاحب افريقية من جهة المعز العبيدى .

ومنهم أبو الفتح غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب بالملك الظاهر صاحب حلب ، كان ملكا مهيبا حازما متيقظا ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته = وأخبار الملوك عالى الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محباً للعلماء مجيزاً ق١٦ب للشعراء ، فنرجوا من الله عز وجل أن يفوق مولانا السلطان خلد الله ملـكه عليه .

ومنهم أبو الفتح ملـكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن مكائيل بن سلجوق ابن دقاق ، كان من أحسن الملوك سيرةً حتى كان يلقب بالملك العادل وكان منصوراً فى الحروب .

ومنهم أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب الملقب بالملك الأشرف ، وكان سلطانا كريما حليما واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطاء ، لا يوجد فى خزانته شئ من المال مع اتساع مملـكته ولا يزال عليه الديون للتجار .

وأما من العلماء وأعيان الناس فـكثير فيهم ممن كانوا يكنون بأبى الفتح ومن أسرار هذه الـكنية أن صاحبها = إذا أراد أن يدعو فى طلب حاجته من جلب منفعة ق١٧ أ أو دفع مضرة ينبغى له أن يكثر من قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

الفصلُ الرابع

في لقبه وما يدل عليه ومن تلقب به من الملوك

اعلم أن لقب مولانا السلطان خلد الله ملكه : الظاهر ، وهو من الألقاب الحسنة ، من الظهور وهو الغلبة ، ولا شك أن الله تعالى لما أظهره على الطائفة الفجرة الذين أرادوا أن يفرقوا جمع العساكر الإسلامية ويشتتوا شمل المسلمين ونصره عليهم وولاه على عباده ألهمهم أن يلقبوه بالظاهر ، والألقاب تنزل من السماء .

واللقب الحسن يشعر برفعة صاحبه كما تلقب أبو بكر رضي الله عنه بالصديق لتصديقه خبر الإسراء ، وقيل لتصديقه النبي ﷺ في أول الأمر وهو أول الناس إيمانا وأول من لقب في الإسلام ، واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان ، وتلقب عمر رضي الله عنه بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين . وتلقب عثمان رضي الله عنه بذي النورين لمكانة ابنتي رسول الله ﷺ تحته ، وهما رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما وتلقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمرتضى ، وبأبي تراب . ولم يزل الخلفاء من بني أمية يلقبونه بأمير المؤمنين ولا يذكرون غير ذلك إلى أن انتهت الخلافة إلى بني العباس رضي الله عنه .

ق١٨ا وأولهم السفاح ابن محمد بن علي بن عبد الله = بن العباس بن عبد المطلب . ثم المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين بالله ، والمعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمستكفي ، والمقتدر ، والقاهر ، والراضي ، والمتقي ، والمستكفي ، والمطيع ، والطائع ، والقادر . والقائم . والمقتدي . والمستظهر . والمسترشد . والراشد . والمقتفي . والمستنجد . والمستضيء . والناصر . والظاهر . والمستنصر . والمستعصم . وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق . وبدئت الخلافة العباسية بالعراق بعبد الله السفاح وختمت بها بعبد الله المستعصم الذي قتله التتار بأمر هلاكو في سنة ست وخمسين وستماية .

وعدتهم سبعة وثلاثون خليفة . فجملة أيامهم = خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ق١٨ب وقارن دولتهم دولة الفاطميين ببلاد مصر وبلاد الشام فى بعض الأحيان والحرمين فى بعض الزمان . واستمرت دولتهم قريبا من ثلثمائة سنة . وأولهم المهدى . وآخرهم العاضد . وكان مقامهم بمصر مائتى سنة وثمان سنين .

وهؤلاء أيضا تلقبوا بألقاب وهم المهدى . والقائم . والمنصور . والمعز . والعزيز . والحاكم . والظاهر . والمستنصر . والمستعلى . والآمر . والحافظ . والظافر ، والفائز . والعاضد .

وكذلك تلقب بنو بويه بألقاب مختلفة وهم معز الدولة . وعماد الدولة . وركن الدولة ؛ وكانوا إخوة واستولوا على البلاد وملكوا العراقين بعد أن كانوا فقراء لا يملكون شيئا ثم من ملك من أولادهم = وحاشيتهم تلقب أيضا نحو ذلك . ق١٩ ا نحو عضد الدولة . وصمصام الدولة . وجلال الدولة . وسيف الدولة . وحسام الدولة . وغياث الدولة . ومؤيد الدولة . وناصر الدولة . وعز الدولة . وشرف الدولة . وبهاء الدولة . وسلطان الدولة . ومهذب الدولة . وأسد الدولة ، وشبل الدولة ، وقوام الدولة .

وكذلك تلقب بنو أيوب بألقاب مختلفة . وهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأولاده الثلاثة الذين ملكوا بعده : وهم الملك الأفضل . والملك العزيز . والملك الظاهر . ثم ملك بعدهم أخو صلاح الدين الملك العادل . ثم ابنه الملك الكامل . ثم ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو الذى جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية .

وكذلك تلقبت = سلاطين الترك وأولادهم بألقاب مختلفة فأولهم الملك المعز ق١٩ب أيبك التركمانى : تولى السلطنة يوم السبت آخر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين وستمائة. ثم تولى ابنه نور الدين على وتلقب بالمنصور. ثم خلع وتولى عوضة قطز وتلقب بالمظفر . ثم تولى بيبرس وتلقب بالظاهر . ثم تولى ابنه بركة قان وتلقب بالملك السعيد. ثم تولى أخوه سلامش وتلقب بالعادل. ثم تولى قلاوون وتلقب بالمنصور. ثم

تولى ابنه خليل وتلقب بالأشرف . ثم تولى أخوه محمد وتلقب بالناصر . ثم خلع وتولى عوضه كتبغا وتلقب بالعادل. ثم تولى لاجين وتلقب بالمنصور. ثم أعيد الناصر محمد. ثم
ق٢٠ أ خلع وتولى عوضه بيبرس الجاشنكير وتلقب بالمظفر . ثم خلع وأعيد الناصر محمد = ثم تولى ابنه أبوبكر وتلقب بالمنصور. ثم تولى أخوه كجك وتلقب بالأشرف . ثم تولى أخوه أحمد وتلقب بالناصر . ثم تولى أخوه إسماعيل وتلقب بالصالح . ثم تولى شعبان وتلقب بالكامل . ثم تولى أخوه حاجي وتلقب بالمظفر . ثم تولى أخوه حسن وتلقب بالناصر . ثم تولى أخوه صالح وتلقب بالصالح . ثم أعيد الناصر حسن . ثم تولى محمد ابن المظفر حاجي وتلقب بالمنصور . ثم تولى شعبان بن حسين بن الناصر محمد وتلقب بالأشرف. ثم تولى ابنه علي وتلقب بالمنصور . ثم تولى أخوه أمير حاج وتلقب بالصالح ثم تولى برقوق وتلقب بالظاهر . ثم خلع وتولى حاجي بن شعبان وتلقب بالمنصور .
ق٢٠ب ثم أعيد الظاهر. ثم تولى ابنه فرج وتلقب بالناصر . ثم تولى أخوه عبد العزيز = وتلقب بالمنصور. ثم أعيد الناصر فرج . ثم تولى الخليفة المستعين بالله . ثم تولى شيخ وتلقب بالمؤيد . ثم تولى ابنه أحمد وتلقب بالمظفر .

ثم تولى مولانا السلطان ططر وتلقب بالظاهر لأن الله تعالى أظهره على أعدائه وأصلح به أحوال المسلمين ، وهو لقب شريف حسن عزيز ، لم يلقب به من خلفاء بني العباس إلا خليفة واحـد ، وهو الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله . وكذلك لم يلقب به من الفاطميين إلا واحد ، وهو أبو هاشم علي الملقب بالظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم وتلقب به من بني أيوب واحد وهو الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين أيوب .

وأما من سلاطين الترك الذين ملكوا الديار المصرية فلقبت به ثلاثة : الأول
ق٢١ أ السلطان الملك = الظاهر بيبرس ، والثاني الملك الظاهر برقوق ، والثالث مولانا السلطان الظاهر ططر خلد الله ملكه .

وكذلك تلقت به واحد من بني أرتق ملوك ماردين وما حواها ، وهو الملك الظاهر مجد الدين عيسى .

وهـذا لقب عزيز شريف استنبطوه من قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وقوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

ولاشك أن الله تعالى أظهر مولانا السلطان على أعدائه من الذين أضمروا له المكر والسوء وأيده بنصره فأصبح ظاهراً عليهم مالكا لرقابهم ولأزمّة أمور المسلمين ببركة سيد المرسلين = محمد المبعوث رحمةً للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. ق٢١ب

وأما لفظة السلطان فإنما ظهرت فى دولة بنى أيوب لأن أول من ملك منهم هو السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب ولم يكن أحد قبله يخاطب بسلطان ، وإنما كان يخاطب بلقب خاص له أو بالأمير ، وكان مثل أحمد ابن طولون يلقب بالأمير أحمد ، وذلك إنما كان لقيام الخلافة ، فلما ضعفت الخلافة وتلاشى أمرها تلقب كل من ملك إقليما بالسلطان ومعنى السلطان الحجة يعنى هو حجة الله فى الأرض قال تعالى : سلطانا مبينا أى حجة ظاهرة وقيل : لأنه به يقام الحجج والحقوق وكل سلطان فى القرآن = معناه الحجة النيرة وقد ذكره الله ق١٢٢ فى القرآن فى اثنين وثلاثين موضعاً .

الفصل الخامس

فى كونه عاشر السلاطين الترك الآفاقين

اعلم أن مولانا السلطان الملك الظاهر أيده الله بملائكته وقع فى السلطنة عاشر السلاطين الترك الذين جلبوا إلى الديار المصرية لأن أولهم السلطان الملك المعز أيبك والثانى السلطان الملك المظفر قطز ، والثالث السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى والرابع السلطان الملك المنصور قلاوون الألفى والخامس السلطان الملك العادل كتبغا
ق٢٢ب والسادس السلطان الملك المنصور لاجين ، والسابع السلطان الملك المظفر = بيبرس الجاشنكير والثامن السلطان الملك الظاهر برقوق والتاسع السلطان الملك المؤيد شيخ والعاشر مولانا السلطان الملك الظاهر ططر خلد الله ملكه .

وقد ذكر بعض أهل الحساب أن السلطنة بالديار المصرية تختم بالعاشر من الذين يملكون من الترك ، ويكون فى أيامه عدل ظاهر وإقامة للشريعة وينقطع عسف الظلمة وسعى المفسدين ويسد باب الرشوة والبرطيل ويأمن الناس على أنفسهم وعلى أولادهم وعلى أموالهم وترخص الأسعار وتظهر البركة فى الأرزاق ويكثر الخير والبر
ق٢٣ ا ويتيسر تحصيل الدراهم والدنانير وتعتدل أحوال الطرقات ، فهذه بشارة عظيمة = لمولانا السلطان حيث تظهر هذه الخيرات فى أيامه فإن هذه الأشياء ماوقعت إلا فى أيام خليفة راشد أو سلطان عادل فمنة الله تعالى على عباده بإقامة مولانا السلطان خلد الله ملكه المحصل لهذه المصالح ، إذ بقدر النعمة تكون المنة ، قال الله تعالى ولكن الله ذوفضل على العالمين ذكروا معناه بإقامة السلطان لأمن الناس به وتحصيل مصالحهم ففضله على الظالم كفه عن الظلم ، وعلى المظلوم نصره وأخذ حقه والمنع من أذاه فالسلطان أقدر الناس على كف الظالم ونصر المظلوم وروى السلطان العادل ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم .

ثم اعلم أنهم تكلموا = فى معنى قول من قال إن السلطنة تختم بالعاشر من ق٢٣ب الذين يملكون من الترك فقال بعضهم معناه على حقيقته : أن الذى يأتى بعد العاشر لا يكون من الترك وإليه أشار محيي الدين فى بعض مؤلفاته وقال آخرون معنى ذلك أن السلطنة التى حقها العدل والإنصاف تختم بالعاشر ، يعنى يظهر بعده الظلم والشر ويقل الأمن والإنصاف فيضعف أمر السلطنة فيكون كأنها قد ختمت وذهبت .

ثم اعلم أن فى وقوع مولانا السلطان خلد الله ملكه رمزاً آخر خفيا لا يدركه إلا أهل الذوق من أهل العلم . وهو أن ذلك يدل على قوته فى ذاته وقوته فى رعيته وذلك أن مراتب الأعداد أربعة : آحاد وعشرات = ومئات وألوف. فأعد لها مرتبة ق٢٤ا العشرات، لأن مابعدها مبنى عليها وغاية الآحاد عشرات وأقواها مايصير تلك العقود وذلك هو العاشر فى رأس كل عقد لأن ما تحت كل عاشر إلى أن ينتهى إلى الواحد الحقيقى ليس له ما للعاشر على ما لا يخفى فيكون القوة للعاشر والتأثير له لكونه غاية لعقده ونهاية له فمولانا السلطان ثبت الله قواعد دولته هو العاشر فالقوة له والتأثير له .

وفيه نكتة أخرى وهى أنه فى ابتداء الاسم تاسع ثم ثامن . وفى ظهور مسماه عاشر ، فالعشرة تغلب التسعة والثمانية ، فهذا ملك يغلب من سبقه من هؤلاء بالسيرة الحسنة والعدل والإنصاف = والإحسان إلى الناس وكل من اتصف منهم بصفة ق٢٤ب حسنة فالموجود فى مولانا السلطان من ذلك الجنس أقوى منه وأحسن .

الفصل السادس

في استحقاقه السلطنة وتعيينه لهـا

إعلم أن منصب السلطنة منصب عظيم ، ومنزلة كبيرة لا يستحقها إلا من يوجد فيه شروطها ومولانا السلطان خلد الله ملكه قد احتوى على شروطها فلذلك اختاره الله وولاه على المسلمين .

الأول من الشروط أن يكون رجلا كاملا ، الثاني أن يكون عاقلا ، الثالث أن يكون فارسا شجاعا ، الرابع أن يكون عارفا خبيراً بأحوال الناس ، الخامس أن يكون ق١٢٥ عنده شيء من علوم الشريعة ليقدر به على فصل الخصومات ، السادس أن يكون = متصفا بالعدل ، السابع أن يكون متفقدا أحوال رعيته في كل وقت ، الثامن أن يكون سخيا ، التاسع أن يكون حريصا على إقامة الطاعات ، العاشر أن يكون مجتنبا عن المعاصي وعن ما يلوث الأعراض .

فهذه الشروط كلها موجودة في مولانا السلطان لا ينكر ولا يخفى فلذلك استحق هذا المنصب الشريف بل وجب تعيينه لذلك من الوجوه المذكورة ومن وجوه أخرى : الأول أنه استحق السلطنة من كونه رجلا كاملا لأنه عدى الأربعين التي هي كمال الرجولية ولهذا كان الوحي لا ينزل على نبي من الأنبياء عليهم السلام إلا بعد ق٢٥ب الأربعين . الثاني أنه استحق من كونه أعقل من بصدد هذا المنصب . الثالث = استحق من كونه فارسا . فإن فروسيته مشهورة وشجاعته معلومة لا ينكرها منكر بل يشهد بذلك من لا يريده ، والفضل ماشهدت به الأعداء . وقد تقدمت له أمور في مواطن الحرب ، سيما لـمـا كان مع الملك المؤيد رحمه الله حين يجرى عليه من الوقائع الشديدة ، وحين كان أيضا مع ولده في بلاد الروم لأجل فتح قلاعها . الرابع استحق من كونه عارفا خبيراً بأحوال الناس فإنه يعرف أهل الديار المصرية والشامية والحلبية من عربها وعجمها وتركها وتركمانها وأهل أريافها بل وله معرفة بغير هؤلاء

من أهل الشرق والغرب وأهل الروم لكثرة دوره فى البلاد ولكثرة اجتماعه بأهل
البلاد من العلماء = والفقراء والصلحاء والتجار وغيرهم ، فإن من كان يقدم إلى ق١٢٦ا
الديار المصرية فى أيام المؤيد من سائر الطوائف كان يجتمع به ويعرفه بحاله ، ويقوم
هو بمصالحه بحسب ما يليق بحال كل أحد . الخامس استحق من كون معرفته بالعلوم
الشرعية ، فإنه من بين الترك منفرد بذلك لقدرته على استخراج المسائل الشرعية
وغيرها من الكتب بمطالعته فى كتب الفقه والتفسير وغير ذلك ، وقدرته على
البحث مع الفقهاء ، بل وكثير من الطلبة لا يقدرون على جواب اسئلته لتعمقه
بذهنه الذكى فى معضلات الأشياء وهو عزيز بين طائفة جنسه ، ومثل هذا قليل
الوجود .

وكيف لا يستحق السلطنة وهى متعينة = عليه ؟ أم كيف انحرف عن سلطنته ق٢٦ب
من كان فى قلبه حسد عليه ؟ ولم يفعل ذلك إلا من هو قليل الدين بل عديمه . السادس
من كونه متصفاً بالعدل ، وشاهد ذلك ما صدر منه فى أحكامه منذ مات الملك المؤيد
فإنه لم يصدر منه إلا كل حكم يضرب به المثل بين العباد فى البلاد ، وهو ظاهر لكل
أحد لا يحتاج إلى بيانه .

ويدل على ذلك ما صدر منه من أحكامه فى أيام إمرته فى نيابته عن السلطنة وفى
أيام حكمه على المماليك وغيرهم فإنه لم يشتهر عنه مد كف إلى أخذ شىء ولا ميل إلى
ظلم ، وكان يحرر القضايا إذا وقعت عنده أحسن من كثير من القضاة ، ويفصلها
على الوجه الشرعى من غير ميل إلى أحد فى ذلك وغير التفات = إلى الدنيا ولو كانت ق١٢٧ا
شيئاً كثيرا ، ولقد شاهدت ذلك مرارا عديدة ، فإنه كان يهرب من باب الرشوة
والبرطيل كما يهرب أحد من النار . السابع من كونه متفقداً أحوال الناس ، فإنه كان
يفعل ذلك فى إمرته ، وذا يدل على أنه يفعل أكثر من ذلك فى سلطنته لكثرة قوته
على ذلك وبسطة يده بخلاف الإمرة . الثامن من كونه سخيا فإنه فى حال إمرته ما كان
يبقى شيئا حتى كان لا يسلم من الدين ويزداد ذلك فى سلطنته لسعة يده وبسطة دنياه .

التاسع من كونه حريصا على إقامة الطاعات وشاهد ذلك أن كل أحد يشهد بذلك
ق٢٧ب لكون أوقاته معمورة بتلاوة القرآن = ومطالعة الكتب والمجالسة مع العلماء وأهل الخير . العاشر من كونه مجتنبا عن المعاصى التى تلوث الأعراض ، وشاهد ذلك أنا من صحبناه من مدة مديدة ما شاهدنا منه شيئا يشينه فى دينه ولا سمعنا أحداً قال شيئاً من ذلك .

وأما الوجوه الأخرى لاستحقاقه السلطنة : فالأول منها قربه من الناس وتواضعه واختلاطه بالعلماء والفقراء . والثانى من حيث كونه صاحب ذوق فى الأمور كلها . والثالث من حيث كونه صاحب مداراة وسياسة . والرابع من حيث انفراده وتعينه لهذا المنصب لعدم من يدانيه أو يقاربه وقد علم أن الشخص إذا عين لمنصب أو وظيفة
ق٢٨ا دينية يفترض عليه = الدخول فيه فإن امتنع يأثم فإنه إذا امتنع يدخل فيه من لا يصلح لذلك فيحصل منه فساد كبير للإسلام والمسلمين . والخامس من حيث كماله فى ذاته وإقبال الناس إليه عند مواجهته ، فهذه خمسة عشر وجها استحق بها مولانا السلطان السلطنة وتعين لها .

الفصل السابع

فى أوصافه الجميلة وأخلاقه الحميدة

اعلم أن مولانا السلطان خلد الله ملكه موصوف بالأوصاف الجميلة التى ذكرناها فى الفصل السابق ، وبهذا رفع الله قدره . ومن جملة أوصافه الجميلة : أن أى عالم أو فقير صالح يرد إلى الديار المصرية يحسن إليه من قبل الناس كلهم من إنعام عليه وإحسان إليه من ذهب = وفضة وقماش ودابة مثمنة ومنها أنه لم يزل كان يتعصب ق٢٨ب
لأهل الخير والاستحقاق عند الملك المؤيد وغيره من أرباب الحكم والدنيا ، وكان سعيه فى ذلك لله تعالى من غير التفات إلى الدنيا ، فإذا كان هذا شأنه قبل السلطنة مع قصور الباع ، فما ظنك به وهو سلطان الإسلام والمسلمين مع طول الباع وسعة القدرة ؟ ومنها أنه لم يزل كان يسعى فى الخير عند المؤيد وغيره ، ولم يسع يوما من الدهر بشر فى حق أحد ، ولا فى حق من كان يعاديه ، ولا سعى بقطع رزق أحد ، ولا بإعدامه ، فلا جرم أن الله رفع قدره ، وأجل شأنه من بين طوائف = جنسه . ق٢٩أ
ومنها أنه لم يزل كان مستشار الملك المؤيد لكون آرائه حسنة عالية ، حتى سمعت المؤيد رحمه الله مراراً عديدة كان يقول ما عندى من يصلح للخطاب ورد الجواب إلا فلان ، وكان يعنى به مولانا السلطان خلد الله ملكه ، وشاهد ذلك أن كل حركة تحرك بها بعده كانت سعيدة زاد الله سعده فى الدارين .

ومن أخلاقه الحميدة حلمه الواسع ، وهو مشهور به والله تعالى زينه به لإرادته له خيراً . ويروى أن الله تعالى يحب الحليم الحيى ، ويبغض الفاحش البذى . وقال علىّ كرم الله وجهه : من حلم ساد ، ومن غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . فلأجل ذلك = جعله الله سيداً على قومه . ومنها خلقه الحسن فلذلك أحبه من رآه ق٢٩ب
أو جالسه أو سمع به ، وقال صلى الله عليه وسلم : إن أفضل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن . وقال علىّ كرم الله وجهه : حسن الخلق وحسن الجوار يعمران

الدنيا ويزيدان فى الأعمار . ومنها نظافة لسانه عن الكلام الفاحش حتى عند احتداده ولقد صحبته سنين عديدة ، وجالسته فى مجالس كثيرة ، ولم أسمعه يوماً من الدهر صدر منه كلمة فاحشة ، وهذا أيضا فضل من الله تعالى يختص به من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم .

الفصل الثامن

فيما ينبغي له أن يفعل وما لا ينبغي

اعلم أن السلطان ينبغي أن يكون حليما، قال الله تعالى: = فاصفح الصفح الجميل . ق٣٠أ وترك الحلم من شدة الغضب ، ومن أطال الغضب حرم السلامة قاله الحكيم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الحليم محبب إلى الناس مسوّد في الدنيا مرضي العقل عند الله تعالى في الآخرة . وقال لقمان عليه السلام لأبنه : يابني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه . وقال الأصمعي دفع أردشير إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً وقال إذا رأيتني قد اشتد غضبي فادفعه إلي ، وكان فيه : اسكن فلست بإله ؛ إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً ، وتصير عن قريب للدود والتراب .

وسئل بعض الفلاسفة : ما الحلم ؟ فقال قد = قيل فيه حدود ، قيل تجرع الغيظ ق٣٠ب وقيل : تؤدة النفس ، وقيل : ايتاء العفو ، وقيل : كظم الغيظ ، وقيل : قهر الغضب ، وقيل : سقوط قوة الغضب ، وقيل: إذلال الطبيعة . وقال الحكيم : الصبر على جزع الحلم أعذب من جنى ثمر الندم .

وينبغي أن يكون سخيا لأن أجلى قواعد المملكة السخاء ، وهو أساسها وتاجها وبه يتم جمالها ، لأن بالسخاء تذل له الرقاب ، وتخضع له الجبابرة ، وتميل إليه الأعداء وتكثر لديه الأولياء . وأحوج الخلق إلى استعطاف القلوب من الخاصة والعامة الملوك وقال بعض الحكماء : أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها = بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال الخير من ق٣١أ فروعه .

وروى أن أعرابياً قدم على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين

إن لى إليـك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكـرها لك ، قال فخطها فى الأرض فخط فيها ، إنى فقير فقال لغلامه يا قنبر اكسه حلتى فـكساه الحلة فقال الأعرابى :

كسوتنى حلة تبلى محاسنها   فسوف أكسوكـمن حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائى نلت مكرمة   ولست تبغى بمـا قد نلته بدلا
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه   كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به   كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

ق٣١ب فقال علىّ رضى الله عنه : زده مائة دينار فأعطاه إياها فلما ولى = الأعرابى قال قنـبر : يا أمير المؤمنين لو فرقتها على المسلمين لأصلحت بهـا من شأنهم ؟ فقال: مه ياقنبر لا تفعل فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اشـكروا لمن أثنى عليـكم فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

وينبغى أن يكون أيضا صبوراً على المـكاره فبالصبر ينال أعلى المراتب وسَنِىّ المناصب . وقال علىّ رضى الله عنه : الصبر مطية لا تـكبو .

وقال بعض الحـكماء : من صبر نال المنى ومن شـكر حصن النّعما .

واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الـكرب واليسر مع العسر .

ويروى أن الصبر نصف الإيمان . أوحى الله إلى داود عليه السلام فقال : تخلق
ق٣٢ بأخلاقى ومن أخلاقى انى أنا الصبور = ويروى الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شـكر .

وينبغى أن يأخذ بالعفو قال الله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف . وقال صلى الله عليه وسلم « ارحم ترحم » ورفع إلى أنوشروان أن العامة تؤنب الملك فى معاودة الصفح عن المذنبين مع تتابعهم فى الذنوب فوقّع : المذنبون مرضى ونحن أطباء وليست معاودة الداء إياهم يمانعنا من معاودة العلاج لهم . وقال المأمون : إنى لأجد لعفوى لذة أعظم من لذة الانتقام . وقيل لافلاطون أى شىء من أفعال الناس يشبه أفعال الله ؟ قال: الاحسان إلى الناس. وفى الإنجيل : أفلح أهل الرحمة لأنهم يسترحمون.

ق٣٢ب واعلم أن العفو المحمود إنما هو عن أفعال لاحدّ لله = تعالى فيها ، فأما حدود الله تعالى المشروعة فلا سبيل لأحد إلى العفو عنها ، فإن الملك إذا وثقت منه رعيته بحسن العفو لم يوحشها الذنب وإن عظم وإن خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب وإن صغر حتى يضطرها ذلك إلى المعصية .

ومن الواجب على الملك تسهيل حجابه والدخول عليه ليصل المظلوم إلى شكاية حاله ، وذلك بأن يكون الحجاب من أهل الدين الورعين دون الفسقة الطمعين لأن أحفظ شيء للمملكة وأعونه على العدل تسهيل الإذن للرعية فى رفع مظالمهم . بعث معاوية رضى الله عنه بعثاً فخرجوا فرجع رجل فقال له معاوية : ألم تكن خرجت مع الناس ؟ قال: بلى ولكن سمعت من =رسول الله ﷺ حديثاً فأحببت أن أضعه عندك ق٣٣ا مخافة أن لاتلقانى . سمعته يقول : أيها الناس من ولى منكم عملا فحجب بابه عن ذوى حاجة من المسلمين حجبه الله أن يلج باب الجنة . ويروى : ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة إلا أغلق الله عز وجل أبواب السماء دون حاجته. فجعل معاوية رضى الله عنه رجلا على حوائج الناس . وكذلك كان الخلفاء يجعلون رجلا من أهل الدين والصلاح يرفع إليهم مظالم الرعايا .

ومن الواجب عليه إقامة الحدود على القوى والضعيف على قانون الشرع من غير زيادة ولا نقصان .

ومن الواجب عليه نصح رعيته ، وعن النبى ﷺ : مامن عبد استرعاه الله رعيته ق٣٣ب ثم = يموت يوم يموت وهو لها غاش إلا حرم الله عليه الجنة . وعن سمرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : من استرعى رعية ولم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله تعالى التى وسعت كل شيء .

ومن الواجب عليه الإحسان إلى رعيته والشفقة عليهم . كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : إنك إنما تملك الأجسام لا القلوب ، فاحرص على اجتذاب قلوب رعيتك بالإحسان إليها . واعلم أن نصح السلطان لرعيته وعدله فيهم يؤثر فى الأرض

خصبا ، وغشه وجوره يؤثر جدبا . وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن
ق١٣٤ا أبيه : أن كسرى خرج يوما يتصيد ومعه أصحابه فرأى صيدا فتبعه = حتى انقطع
عن أصحابه وأظلته سحابة فأمطرت مطرا حال بينه وبين أصحابه . فمضى لا يدرى
أين يقصد . فرفع له كوخ فقصده ، وإذا عجوز بباب الكوخ ، فقال لها أنزل .
قالت : انزل ، فنزل ودخل الكوخ وأدخل فرسه . وأقبل الليل فإذا ابنة العجوز
قد جاءت ومعها بقرة قد رعتها بالنهار ، فأدخلتها الكوخ وكسرى ينظر إليها ،
فقامت العجوز إلى البقرة فاحتلبت لبناً صالحاً وكسرى ينظر إليه ، فقال فى نفسه
ينبغى أن نجعل على كل بقرة خراجاً ، فهذا حلاب كثير ، وأقام بمكانه حتى مضى
أكثر الليل ، فقالت العجوز . يافلانة قومى إلى البقرة فاحتلبيها ، فقامت إلى البقرة
ق١٣٤ب فوجدتها حائلا لا لبن فيها ؛ فقالت : يا أماه قدوالله أضمر الملك لنا = سوءا فقالت :
وما ذاك ؟ قالت إن البقرة حائل ! فقالت لها : امكثى فإن عليك ليلا ، فقال كسرى
فى نفسه من أين علمت ما أضمرت فى نفسى ؟ أما إنى لا أفعل ذلك ؟ قال فمكثت
ثم نادتها يابنية قومى إلى البقرة ، فقامت إليها فوجدتها حافلا ، فنادت أمها : يا أماه
قد والله ذهب مافى نفس الملك من الشر ، هذه البقرة حافل قالت فاحتلبيها ، فأقبل
الصبح وتتبع الرجال أثر كسرى حتى أتوه ، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها
إليه ، فأحسن إليهما وقال: كيف علمت أن الملك قد أضمر شراً وأن الشر الذى أضمره
قد عدل عنه ؟ قالت العجوز : لنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ماعمل فينا بعدل إلا
أخصب ، وما عمل فينا بجور إلا ضاق علينا وانقطعت مواد النفع عنا .

ق١٣٥ = ومن أعظم الواجبات عليه الاحتراز عن الظلم وسوء عاقبته ، وقال ﷺ
اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب . وقال عليه السلام : الظلم ظلمات
يوم القيامة . وفى حديث جابر عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: سمعت رسول الله
ﷺ يقول : إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلا . ويقول : أنا الديان لا ظلم
عندى ، وعزتى لا يجاورنى اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ولو ضربة يد على يد ،

ولأقتصن للجماء من القرناء ، ولأسألن الحجر لم نكت الحجر ؟ ولأسألن العود لم
خدش صاحبه ؟ .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : لاينال شفاعتي = ذو ق٣٥ب
سلطان جائر عسوف غشوم . وعن شريح قال : سيعلم الظالمون حظ من نقصوا ؟
ان الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر . ووقع المأمون فى قصة متظلم على عمرو
ابن مسعدة : ياعمرو ، عمر نعمتك بالعدل ، فإن الجور يهدمها .

والسلطان أقدر الناس على كف الظالم ونصر المظلوم ، وقد روى : السلطان
والإسلام أخوان لايصلح واحد منهما إلا بصاحبه ، فالإسلام أس ، والسلطان
حارس ، وما لا أس له متهدم ، وما لا حارس له ضائع ، وروى الترمذى بإسناده عن
النبي صلى الله عليه وسلم : أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام
عادل ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر . = وروى أبو نعيم ق١٣٦
بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم يوضع للمقسطين يوم القيامة منابر من لؤلؤ بين
يدى الرحمن بما أقسطوا فى الدنيا . وروى أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها ، وجور ساعة فى حكم
أشد وأعظم من معصية ستين سنة وقد قيل : (العدل) أقوى جيش والأمن أهنى
عيش ، العدل ميزان الله فى الأرض ، من عدل فى حكمه ، وكف عن ظلمه ، نصره
الحق ، وأطاعه الخلق ، وصفت له النعما ، وأقبلت عليه الدنيا ، فتهنى بالعيش ،
واستغنى عن الجيش ، وملك القلوب ، وأمن الحروب ، وصارت طاعته فرضا ،
ورعيته جندا . من دان تحصن ، ومن عدل تمكن .

أيها الملك = اجعل الدين كهفك ، والعدل سيفك ، تنج من كل سوء ، وتظفر ق٣٦ب
بكل مرجو . قال الناصح :

إذا سست قوما فاجعل العدل بينهم   وبينك تأمن كل ما تتخوف
وأن خفت من أهواء قوم تشتتاً   فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

الفصل التاسع

فيمن يوليه على خواص نفسه وعلى الرعية

اعلم أن أعظم الأمور الذى يحتاج إليه السلطان أن يتفقد حال نوابه قبل أن يوليهم الأعمال وبعدها فمتى ما رأى أنهم يقبلون الهـدايا على محاباة الرعايا فى ترك الواجب عليهم فيعلم أنهم قد خانوه . وفى الأمثال الهـدية تعمى وتصم . ولا يولى أعماله إلا من علم دينه وأمانته ، فإن ولاية الخائن والطمع والفاسق يهدم أساس الملك
ق٣٧ا بأدعية = المظلومين . وقال المأمون : ما فتق علىّ فتق فى مملـكتى إلا وجدت سببه جور العمال .

ويجب عليه أن لا يمـكن نوابه من تعذيب الرعية وظلمهم ومضرتهم بغير حق ، وأن لا يسامحهم بظلم الرعية بل يقابلهم عليه ، ومثل السلطان إذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئاب . كانت العامـة تشتم الحجاج ابن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان ، وفيه قيل .

ومن يربط الـكلب العقور ببابه   فعقر جميع الناس من رابط الـكلب

ولا بد للملك من وزير صالح ، ولو كان السلطان يستغنى عن الوزير لـكان أحق الناس بالاستغناء عنه كليمه موسى عليه السلام ، ولـكنه قال : واجعل لى وزيراً
ق٣٧ب من أهلى . ثم ذكر حكمته فقال : اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى . = أسعد الملوك ملك له وزير صدق ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه . والوزير مع الملك بمنزله سمعه وبصره ولسانه وقلبه . ويقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وأعظم الأشياء ضررا على الملوك خاصة ، وعلى الناس عامة فقد الوزراء والأعوان .

وليحذر السلطان أن يولى الوزراة غير أولى الصلاح الورعين ، فبالطمع تنهد قواعد المملـكة ، السلطان طبيب والرعيـة مرضى ، والوزير سـفير بين الطبيب والمريض ، فإذا كذب السفير بطل التدبير . أربعة ينبغى أن تـكون من أوثق ثقات الملك وأنصح نصحائه . الوزير . والطبيب . والطباخ . والساقى .

وقال بزر جمهر لأنوشروان ينبغي للملك أن يستظهر = بعشرة رجال من رعيته ق١٣٨ ليتم ملكه : الأول مشير ذوجاه وحرمة يقدر أن يقول للملك أخطأت أو أصبت . والثاني وزير متصرف شهم . الثالث مستوف ضابط لجميع المعاملات . الرابع مؤتمن يحفظ قلاعه وثغور ملكه . الخامس حاجب نصيح متدين . السادس كاتب حاذق أمين بليغ . السابع رسول متفرس حاضر الجواب . الثامن جليس متأدب فكه . التاسع منجم بارز فى أحكام النجوم وسير الكواكب . العاشر طبيب خبير بعلم الطب متجرب معالج .

وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للملك أن يثق بعشرة أصناف من الناس : من عاقبه فى غير جرم . ومن ناله ضرر من الملك = ومن عزلهعن ولاية موروثة . ومن ق٣٨ب كان ثقة فاتهمه . ومن رفضه من غير سبب. ومن كان ذا مروءة أنزله فى غير منزلته. ومن قدم عليه نظراءه . ومن ظلمه فى غير موضعه. ومن التجأ إليه من أعدائه . ومن قتل أباه أو ابنه .

ويقال شيئان يفسدان أمر الملك : استخبار من لا يصدق إذا أخبر ، واستكفاء من لا ينصح إذا أدبر . ومن الأمور التى ينبغي للملك بل تجب عليه : أن لا يولى الوظائف غير أهلها ، فإن فيه فسادا ، وهو من أشراط الساعة ، وقال صلى الله عليه وسلم : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة . وقال الحسن بن على المروروذى : أعوذ بالله من إمارة الصبيان ، ورئاسة = النسوان ، ثم أنشأ يقول : ق١٣٩

ثنتان يعجز ذو الرياضة عنهما رأى النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فميلهن إلى الهوى وأخو الصبا يجرى بكل عنان

وكذلك لا يولى أحداً من الجهلة فى الوظائف الدينية ، ولا فاسقا فى أى وظيفة كانت ، ولا يستعمل أحدا من اليهود والنصارى ومن فى معناهم عملا من الأعمال وإن قل حتى سياسة الدواب ، كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لا تستعملوا اليهود والنصارى ، فإنهم أهل رشى فى دينهم ، ولا تحل الرشى .

وكذلك لا يولى الملك أحداً بالرشى ، وقدقال صلى الله عليه وسلم لعن الله الراشى ق٣٩ب والمرتشى والرايش ، وهو الذى يمشى بينهما ويصلح. وقد قالت العلماء = رضى الله عنهم : كل قاض يتولى بالرشى لاتصح توليته ، ولا تنفذ عقوده ولا فسوخه .

وكذلك لا يولى أحداً وظيفة وفى مملكته من هو أفضل منه ، فإنه ورد فى الحديث : من فعل هذا فقد خان الله ورسوله . ومن الخصال الموجبة لزوال الملك استعمال الأراذل على الأعمال الجليلة ، ومنعها الأفاضل . وقيل لبنى أمية ما كان سبب زوال ملككم ؟ فقال : ولينا صغار العمال كبار الأعمال ، فآل أمرنا إلى ما آل ! وسئل بزرجمهر ماسبب زوال ملك بنى ساسان ، بعد ما كان فيه من القوة والسلطان ، ق٤٠ا وشدة الأركان؟ قال: لأنهم قلدوا صغار الرجال كبار الأعمال. وفى الأمثال زوال الدول باصطناع = السفل . وقيل لبعض بنى أمية: ما الذى أذهب ملككم؟ فقال: تحاسد الاكفاء ، وانقطاع الأخيار . وقيل لآخر ذلك. فقال: نوم الغدوات وشرب العشيات.

وقال المنصور : أربعة لايستقيم أمرى إلا بها كما لايستقيم السرير إلا بقوائمه الأربع . صاحب شرطة لايفرق بين الشريف والوضيع فى إقامة الحدود ، وقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وصاحب خراج ينصف وينتصف ، وصاحب بريد ينهى الأخبار على وجوهها من غير زيادة ولا نقصان .

قال أنوشروان : ثمانية أشياء أساس الملك يؤتى بأربعة ويحذر عن أربعة والذى ق٤٠ب يؤتى به . الدين ، واكتفاء الأمين ، وتقديم الجزم = وإمضاء العزم . والذى يحذر عنه . غش الوزير ، وسوء التدبير ، وخبث النية . وظلم الرعية .

وقد قالوا : إذا عاشر الملك أهل العقل والأدب ، وذوى الرأى والحسب يزداد عقلا وبهاءاً وجمالا ، ويكون تصرفه فى مملكته برأيهم ، فيكون ذلك سببا لاثبات ملكه ، ودوام مملكته ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : مجالسة العقلاء تزيد فى الشرف . وأولى ما يجالس الملك العلماء فإنهم هم العقلاء ، وهم الذين يدلون الناس إلى الصراط المستقيم .

وقال أهل الفضل: ينبغى للسلطان أن لا يخلى مجلسه من كبار العلماء ، كان
سليمان بن عبد الملك وهو خليفة يأتى عطاء بن أبى رباح ، وكان الرشيد يأتى مالك
ابن أنس رضى الله عنه ، وكان الأمين = والمأمون يمشيان إلى العلماء . ق ١٤١

وينبغى للسلطان أن يجعل للعلماء منه مجلساً خاصا ، يذاكرونه فيه بالعلم
ويذكرونه آلاء الله عليه ، وإحسانه إليه . والمراد من العلماء : الفقهاء الذين فقهوا
عن الله أمره ونهيه ، وهم أهل الفقه والحديث وما يتعلق بهما من العلوم الشرعية.
ومما يعين السلطان على طلب العلماء ومجالستهم : اقتناؤه الكتب الشرعية كالفقه
وتفسير القرآن والحديث وما يتعلق بها من النحو واللغة والتصريف وشرح غريب
اللغة ، هذه الكتب هى النافعة ، وإذا نظر فى شىء من ذلك وأشكل عليه شىء
احتاج إلى سؤال العلماء عن ذلك فيجالسهم بسببه وليحذر السلطان = من النظر ق٤١ب
فى كتب الفلسفة والنجوم ، فإن مصنفى هذه الكتب زنادقه ، وهم أعداء الرسل ،
لأن علومهم منافية لعلوم المرسلين . وقال بعض الحكماء : إذا كان الملك عالما ، وكان
الحاكم عفيفاً ، والشرطة عادلا ، دام الملك ، وإلا فسد ودثر .

وقد قيل الإسلام فسطاط ، والامام عمود ، والعلماء أوتاده ، فإذا مالت الأوتاد
لم يثبت عمود ولا فسطاط . ويجب عليه قبول النصح من العلماء والعمل بمقتضاه ، لما
فى مخالفة العلماء الناصحين من الخطر وينبغى أن لا يجالس أهل الفسق وأهل الاستهزاء
بالناس ، لأن جليس السوء يذهب بهاءه ويستخف بحرمته ، ويوقعه فى المهالك ،
ولذلك = قيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا ق٤٢ا
مرت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا . ويروى : مثل الجليس
الصالح مثل الدارى إن لم يجدك من عطره ، عبق بك من ريحه ، ومثل الجليس السوء
مثل صاحب الكير ، ان لم يحرقك بناره علق بك من دخانه .

وفى كتاب كليلة : اجتنب عشرة من الاصحاب : الكفور للنعمة ، والغادر
بالعهد ، والذى لا يؤمن بالثواب والعقاب فى الآخرة . والمفرط فى الحرص والتهمة
والغضب ، ومن يسخطه اليسير لغير علة ، ومن لا يرضيه شىء وان كان كثيرا ،

ق٤٢ب وذو المكر الداهى الغامض مـكره ، واللهج بالزنا والخمر = والميسر والسىء الظن
المتلون والقليل الحياء .

ومن الواجبات عليه أن لا يسمع كلام أحد فى غيره . قال الله تعالى : ولا تطع
كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم . وروى مسلم : لا يدخل الجنة قتات أى نمـام .
والسعاية فى الناس إلى السلطان مهلـكة ، فـكم من دم أراقه سعى ساع ! وكم من
مال وحريم استبيح بنميمة باغ إياك والسعادة فإنهم أعداء عقلك ، ولصوص عدلك ،
ويفرقون بين قولك وفعلك . وفى المثل السائر : من أطاع الواشى ضيع الصديق .

ومن الواجبات عليه أن يعلم أن دوام نعمته موقوف على الشـكر ، وأصل الشكر
ق٤٣ا تقوى الله تعالى ، فمن أراد دوام = العافية والسلامة فليتق الله فإن المعاصى تزيل
النعم . روى عن وهب رضى الله عنه : أن ملـكا شابا قال إنى لا أجد للملك لذة ، فلا
أدرى أيجد الناس الملك كذلك أم أنا وجدته من بينهم؟ فقيل : بل الملك كذلك فقال:
ما الذى يقيمه ؟ فقيل له : يقيمه أن تطيع الله فلا تعصيه ، فدعا ناساً من خيار من
فى مملـكته فقال لهم: كونوا بحضرتى وفى مجلسى ، فما رأيتم أنه طاعة الله فمرونى أعمل
به ، وما رأيتم أنه معصية فازجرونى عنه أزدجر ، ففعل ذلك هو وهم فدام ملـكه
أربع مائة سنة مطيعا .

ومن الواجبات على الملك أن يسلك سبيل الخلفاء الراشدين فى تفريق الأموال
ق٤٣ب لاسبيل المتقدمين من الملوك الذين = كانوا يجمعون المـال من الحلال والحرام ،
ويـكتنزونها ولا يصرفونها فى مصارفها ، فبذلك استحقوا فى الدنيا اسم الظلم ، وفى
الآخرة العذاب . وسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده صرفها فى
وجوهها ولا يدخرونها ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة فى صاع
من شعير . ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده
وإنما كانت الأموال التى جبيت من حلها فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن
عبد العزيز رضى الله عنهم تقسم بين المسلمين ، وربما كان يفصل منها شىء فيجعل

فى بيت ، فمن حضر واحتاج أعطى منه حتى لا يبقى منه درهم . وروى أن على ابن أبى طالب = رضى الله عنه أشرف على بيت المال فرآه ملآن ، فقال: يا بيضاء ق١٤٤ يا حمراء غرى غيرى ثم نادى فى الناس وفرق جميع ما فيه وأمر بكنسه ورشه ، ثم دخل فصلى فيه ركعتين . وكثير من ملوك الإسلام ساروا فى الأموال نحو هـذه السيرة .

وقال بعض الملوك لابنه : يابنى لا تجمع الأموال لتقوى بها على الأعداء فإن جمعها تقوية لهم ، لأنه إذا جمع المال أضعف الرجال ، فيطمع فيه الصديق ويثب عليه العدو . ولما تمكن يوسف الصديق عليه السلام من ملك مصر كان يجوع ويأكل خبز الشعير ، فقيل له : تجوع وبيدك خزائن الأرض ؟ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين.

ويحكى أن عمر بن = عبد العزيز رضى الله عنه دخل على امرأته فقال : يافاطمة عندك درهم ق٤٤ب أشترى به عنبا ؟ قالت: لا. قال: فعندك ثمنه يعنى الفلوس ، قالت : لا . فقالت : أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا على ثمنه تشترى به عنبا ! قال : هذا أهون علينا من معالجة الأغلال فى نار جهنم .

والواجب على الملك أن يقتدى بسيرة هؤلاء حتى يشكر فى الدنيا ويرحم فى الآخرة . وكان الرشيد فى خلافته يحج سنة ويغزو سنة . وحكى عنه أنه كان يصلى كل يوم مائة ركعة إلا أن يعرض له مرض ، وكان يتصدق من صلب ماله بألف درهم وكان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج فى كل سنة ثلثمائة بالنفقة السابغة = والكسوة الظاهرة . ق١٤٥

ومن الواجبات على الملك أن يجتهد فى حكمه ، ويتأنى ولا يستعجل فى فصل الأمر ، فإن أدى اجتهاده إلى الحق حكم به ، وإن أشكل عليه رفع أمره إلى عالم لينظر فيه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران : وإن اجتهد فاخطأ فله أجر . ولا ينبغى للسلطان أن يترفع عن طلب العلم فليس أحد أرفع من النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قال : رب زدنى علما! وأولى الناس بطلب العلم الملوك والشيوخ لأن الخطأ منهم أقبح .

وليس أحد من أهـل الدرجات العلية والمراتب السنية أحوج إلى مجالسة العلماء
ق٤٥ب ومطالعة كتب الفقهـاء = وسيرة الحـكماء من السلطان لأنه قد نصب نفسه لممارسة أخلاق الناس وفصل الخصومات بينهم . وكل ذلك يحتاج إلى علم بارع وبصر ثاقب ، والخلق كلهم مستمدون من السلطان الاخلاق السنية والطرائق العلية مفتقرون إليه فى الاحكام ، وقطع التشاجر وفصل الخصام ، فإذا كان كذلك فهو أحوج إلى العلوم من غيره .

وينبغى له أن يجالس الصالحين فإنه إذا جالسهم يرق قلبه ، ويجتهد فى أمور الآخرة ، ويحصل له الاعتبار كما روى أن الإسكندر مر بمدينة قد ملـكها ملوك سبعة وبادوا فقال: هل بقى من نسل الملوك الذين ملـكوا هذه المدينة أحد ؟ فقالوا : رجل
ق٤٦ا يكون فى المقابر. فدعاه = فقال : ما دعاك إلى لزوم المقابر ؟ قال أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجد ذلك سواء . قال: فهل لك أن تتبعنى فأحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همة قال : إن همتى لعظيمة إن كان عندك بغيتى ، قال : وما بغيتك ؟ قال: حياة لا موت فيهـا ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا يتبعه فقر ، وسرور لا يغيره مكروه. قال: لا أقدر على هذا قال: فانفذ لشأنك وخلنى أطلب بغيتى ممن عنده همتى قال الاسكندر: هذا أحكم من رأيت ، ثم اعلم أن جملة ما تجمع فى بيت المـال أربعة أنواع
ق٤٦ب الأول: زكاة السوائم والعشور وما يأخذه العاشر من المسلمين الذين يمرون عليه = من التجار، ومصرف هذا النوع ما ذكره الله تعـالى فى كتابه الـكريم بقوله : إنمـــا الصدقات للفقراء والمساكين . الآية وهم أصناف ثمانية قد سقط منهم المؤلفة قلوبهم لأن الله تعالى أعز الإسلام وأغنى عنهم . والنوع الثانى : ما يؤخذ من خمس الغنائم والمعادن ، ومصرف هذا النوع الأصناف التى ذكرها الله تعالى فى كتابه بقوله: واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسـه . الآية فسهم الله ذكر للتبرك وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم سقط بموته وسهم ذوى القربى ساقط عندنا وهى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصرف اليوم إلى ثلاثة أصناف اليتامى والمساكين
ق٤٧ا وابن السبيل = ، وقال بعضهم : يصرف سهم الله تعالى إلى عمارة الـكعبة ، وسهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف إلى الخليفة لأنه قد قام مقامه ، وسهم ذوى
القربى إلى قرابته .

النوع الثالث : ما يؤخذ مما أخرجته الأرض وجزية الرؤس وما يأخذه العاشر
من المستأمن من أهل الحرب ومن تجار أهل الذمة . ومصرف هذا النوع : عمارة
الرباطات والقناطير والجسور وسد الثغور وكرى الأنهار العظام التى لا ملك لأحد
فيها ، كجيحون ودجلة والفرات ، ويصرف إلى أرزاق القضاة وأرزاق الولاة
والمحتسبين والمفتيين والمعلمين وأرزاق القاتلة ويصرف أيضا إلى رصـد = الطريق فى ق٤٧ب
دار الإسلام عن اللصوص وقطاع الطريق وحاصله أن هذا النوع من المال يصرف إلى
عمارة الدين وإصلاح دار الإسلام والمسلمين .

النوع الرابع: ما يؤخذ من تركات الموتى الذين يموتون ولم يتركوا وارثا أو ميت
ترك زوجا أو زوجة. فمصرف هذا النوع: نفقة المرضى فى أدويتهم وعلاجهم وهم فقراء
وإلى اكفان الموتى الذين لا مال لهم وإلى نفقة اللقيط وعقل جنايته ، وإلى نفقة من
هو عاجز عن الـكسب وليس له قريب يقضى عليه بنفقة ، وما أشبه ذلك . والواجب
على السلطان إيصال الحقوق إلى أربابها ولا يحبسها عنهم من غير = تفضيل ، ويسوى ق٤٨ا
بينهم من غير ميل ، فإن قصر فى ذلك إثم واستحق إثم الظلم ، وما سوى ذلك من
الأموال التى يؤخذ بعقوبة أو جباية كالمـكوس التى لم تـكن فى زمن أحد من الخلفاء
الراشدين وغيرهم من الملوك العادلين بل العشارون سوغوا للملوك أخذها ليأكلوا
أموال الناس بالباطل فحرام سحت . فمن علم حرمته وأخذه فقد شاق الله ورسوله ،
ومن اعتقد إباحته كفر ، وهـــذا النوع فى الديار المصرية كثير ، تولى غالب ذلك
القبط ، ويحسنون ذلك للملوك ويأكلونه ولا يحصل للملوك من ذلك غير الوزر والإثم
ويستحقون بذلك اسم الظلم فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، ولاسيما = ما يفعلونه فى ق٤٨ب
المواريث ، فإنهم ينتهبون تركة الميت نهبا ، ويحرمون الورثة ، ولا يصل من ذلك
شىء لبيت المال . فالواجب على السلطان أن ينظر فى هذه الأشياء ، ويولى فى كل جهة
من كان مشهوراً بالثقة والأمانة والدين لينظر فيه بالحق ، ولاسيما فى المواريث فإنه

يجرى فيها أمور لا يرضى بها أهل دار الحرب فضلا عن المسلمين فى دار الإسلام ، فإذا قصر السلطان عن النظر فى ذلك عاد الإثم عليه . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: بئس الزاد إلى المعاد جور العباد . وقيل : أول حرف كتب فى أول ألواح التورية:
ق٤٩ ا ويل للظلمة . وقال الثعالبى : إذا كان الملك جائراً فسلام على سلامة الرعية =

الفصل العاشر

في تاريخ سلطنته وما يدل عليه ذلك

اعلم أن الحكمة الإلهية والقدرة الربانية اقتضت أن يظهر فى الوجود فى حال الفترة وظهور أهل الشر والفساد، وتصدى أهل العناد لفساد، أحوال العباد والبلاد سلطان من أهل السن الكامل، والعقل الوافر، والدين الظاهر، والعلم الباهر، المائل إلى الحق والصواب، والعادل عن طريق الباطل والارتياب، العامل بالسنة والكتاب، لطفا من الله تعالى على العباد، ورحمة على أهل البلاد، وكان كنزاً مدخراً فى الكتاب، ونوراً مستورا فى الحجاب. فأظهره الله تعالى من فضله الباهر، ولطفه الزاهر، حتى ألهم عبيده بأن لقبوه بالملك الظاهر، أظهره الله عز وجل لاقامة دينه

= القويم، وإظهار صراطه المستقيم، ولرفع المظالم التى استحكمت بين الناس، ق٤٩ب

وإفشاء العدل الذى وقع فيه اليأس، ولتحكم شرائع هذا الدين، وإجرائها على سنن الخلفاء الراشدين، فى السلاطين العادلين.

ولما انخمد نار الظلم من الطريقة الرفيعة، ونادى مؤذن العدل، جاء الحق بمنعته المنيعة، قام هذا الملك لإقامة أركان الشريعة، عازما لاحياء موات الدين، وحازما بحفظ وضبط متين، ناويا فى ذلك بأحسن النيات، فى تحصيل فعل الخيرات، متضرعا إلى الله وداعيا، وإلى سبيل الهدى راجعا وساعيا، وكان ذلك بمجمع العلماء والقضاة وخليفة المسلمين، وسائر الأمراء وعساكر الوحدين، واستدعائهم منه قبول هذا

المنصب الشريف، = والركوب على هـذا المنيف، وتكرر منهم فى ذلك السؤال ق٥٠ا

والخطاب، حتى أجاب بعد زمان بأحسن الجواب. وكانت الإجابة عليه واجبة اللزوم، لتعينه لذلك بالخصوص والعموم، وكان ذلك بدمشق المحروسة التى هى بهجة الشام ومقر الخلفاء والملوك والأعلام، ودار الأنبياء والأولياء، ومقام العلماء والأصفياء، مدينة ليس لها نظير فى الربع المسكون، مزينة بجامع لم تر مثله العيون، فى نهار الجمعة سيد

الأيام، بالآثار الواردة من سيد الأنام ، الذى ساعاته أفضل الساعات ، وأوقاته أكرم
الأوقات، التاسع والعشرين، من شعبان المكرم بين المسلمين ، من سنة أربع وعشرين،
ق٥٠ب وثمان مائة من هجرة = سيد المرسلين ، فمنذ ذلك ارتفعت الدعوات ، وضجت
الأصوات من كل الجهات، فكان الناس حينئذ كالحجيج تابى فى عرفات ، شكراً لما
بعث الله تعالى إليهم بملك ينظر فيهم بالعدل والإنصاف ، ويرفع من بينهم الظلم
والاعتساف ، وتباشروا على هذا الخير العظيم والفضل الجسيم فأصبحوا وهم شاكرون
بالفرح والسرور، وداعون لهذا الملك بالبقاء والحبور ، ووصل الخبر بذلك إلى القاهرة
يوم الأحد التاسع من رمضان المعظم ، وفرح الناس بهذا الخبر المفخم ، ودقت
الكوسات للبشائر ، وفرحت الأمراء والعساكر ، وأصبح أهل الديار المصرية فى
ق٥١ا فرح وسرور ، وتزين الأسواق = والدور، وشكروا الله على هذه النعمة والأيادى،
التى عمت كل حاضر وبادى ، وارتفعت الأصوات بالدعاء فى كل نادى ، وسكبوا فى
ذلك اليوم عبرات الفرح ، لما أذهب الله عنهم الهم والترح ، ودعوا الله تعالى بطول
البقاء لهذا الملك وطول مدته ، وإهلاك أعدائه وحساده بسطوته ، إنه على ذلك قدير
وبالإجابة جدير .

وفى انعقاد السلطنة له فى دمشق المحروسة بشارة عظيمة ، وهى أنها كانت محل
انعقاد الخلافة العامة ، فإن الخلافة العامة بعد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم لم
تنعقد إلا فى الشام ، وهى انعقادها لأمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله
ق٥١ب عنهما. وحكم معاوية = فى دار الخلافة فى دمشق أربعين سنة ، منها وهو أمير فى عشرين
سنة ، ومنها وهو خليفة فى عشرين سنة ، وكذلك سلطنة مولانا السلطان خلد الله
ملكه فى دمشق أول سلطنة الأتراك ، فنرجو من الله تعالى أن يكون توليته مثل تولية
أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه فى طول المدة وشمول الولاية سائر البلاد ، وقد ثبت
فى التواريخ أن ولاية بنى أمية عمت سائر أقاليم المسلمين وبلادها، بخلاف بنى العباس
فإن ولايتهم ما شملت بلاد الغرب ولذلك خرجت عن ولايتهم الديار المصرية والشامية
ق٥٢ا والحجازية وغير ذلك فى أيام العبيدين . وفى سلطنته فى الشام سر عظيم = لا يدركه

إلا أهل الذوق : ولم يتول أحد من سلاطين الترك الذين ملكوا الديار المصرية بعد بنى أيوب وهو فى الشام غير مولانا السلطان خلد الله ملكه . وذلك لما أراد الله له من الخير الواسع واليمن والبركة وطول المدة إن شاء الله تعالى .

وكانت توليته فى ساعة أجمع عليها أهل الحساب أنها تدل على طول أيام مولانا السلطان خلد الله ملكه مع عافية وأمن وسرور ، وعلى ظهور العدل بين الناس وانخماد الظلم والعسف ببركة وجود هذا الملك ثبت الله أركان دولته وأيام سطوته وعزته ، وحرسه بعينه التى لاتنام ، وكلأه فى كنفه الذى لا يرام ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

الفهارس

١ ـــ الأسماء

٢ - الأمكنة

مصر ٣ : ١٦ ٤ : ٤ ٦ : ١٠
١١ : ٢١ ١٤ : ٢ ، ٤ ، ١٩
١٥ : ٢٠ ١٧ : ٤ ، ١٠ ١٩ : ٢١
٢٠ : ٣ ٢٢ : ٥ ٣٤ : ٨
٣٦ : ١٩ ٣٩ : ٩ ، ٢٣ ٤٠ : ١

أنطاكية ٥ : ١٧ ١١ : ١٣
النيل ٣ : ١٦
يافا ١١ : ١٣
اليمن ٣ : ١٥ ٤ : ٢ ١١ : ٢١

٣ — المصطلحات

١٢ : ٧   ١٣ : ٣   ١٥ : ١٤ ، ٢١
١٦ : ٤   ١٧ : ٣ ، ٩ ، ١٥ ، ١٦
١٨ : ٦ ، ١٢   ١٩ : ٤ ، ١٢
٢١ : ١٢   ٣٩ : ١٩   ٤٠ : ٢ ، ٤

نواب   ٢٩ : ٣
وزارة   ٢٩ : ٢٠
وزير   ٢٩ : ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣
٣١ : ١٨

تم بحمد الله